سلسلة الأركان الأربعة
"١"

أبو ذر الغفاري

رمز اليقظة في الضمير الإنساني

عرض وتحليل

تأليف
الشيخ محمد جواد آل الفقيه

دار التعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان

ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ

الآية (٢ ـ ٨٥)

قرأها ابن مسعود في خطبة له بمحفل من أهل الكوفة حين بلغه نفي أبي ذر .

ما أظلَّت الخضراء ، ولا أقلَّت الغبراء من ذي لهجة ، أصدق من أبي ذر . ومن سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم ، فلينظر إلى أبي ذر .

الاستيعاب (الاصابة ١/٢١٦)

محمد رسول الله (ص)

والله إني لأرى حقاً يُطفى ، وباطلاً يحيى وصادقاً مكـذّباً ، وأثـرةً بغير تُقىً ، وصالحاً مستأثراً عليه .

شرح النهج ٨/٢٥٦ ـ ٢٥٧

أبو ذر الغفاري

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

وبعـد : يسر « دار التعـارف » أن تقـدم لقـراءهـا الكـرام سلسلة « الأركان الأربعة » كاملةً غير منقوصةٍ في أربع مجلداتٍ بشكلٍ رائع جديد وطباعةٍ جيدةً مع تنقيح النسخ الأصليـة وزيادة بعض الأمـور الهامـة فيها ، راجين من الله سبحانه حسن الهداية وجميل الرضا . وآملين أن تنال اعجاب القارىء الكريم ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الناشر

مقدمة الطبعة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمدٍ المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله الغر الميامين ، وصحبه المنتجبين .

وبعد ، فاني أحمد الله سبحانه على ما أفاض وأنعم علي من حسن التوفيق في إتمام هذه السلسلة المباركة (الأركان الأربعة) التي كانت ولا تزال موضع اهتمام القراء الكرام في العالم الإسلامي الواسع كما دل على ذلك تكرار طبعها بأعداد كبيرة ، ولعل أهمها هذا الكتاب الذي بين يديك (أبو ذر) والذي ترجم منذ أربع سنوات إلى اللغة الفارسية ترجمةً جيدةً بإخراج أنيق .

والآن هو بين يديك تقرأه مكتوباً في سيرته وسلوكه وأخلاقه وجهاده وجوانب حياته ، وسوف نجده كما هو وجهاً من أبرز الوجوه التي ساهمت في إنشاء البنية الإسلامية وتشييد دعائمها مستلهماً هداه من روح القرآن ومن تعاليم النبي الأكرم (ص) وسنته الشريفة المباركة .

انه يبقى الصحابي العظيم الذي ورث الكثير الكثير من صحبته للنبي الأعظم (ص) ولم يفرط في ذلك الارث قيد شعرة ، بل صانه بروحه وقلبه وفكره ، فكان رائداً عظيماً من رواد الإصلاح حين استشرى الفساد في

صفوف الولاة والحاكمين .

وما أحوج المسلمين اليوم إلى إطلالة هذه الشخصية عليهم من جديد ، وما أحوجهم إلى قادةٍ يحملون روح أبي ذر متمثلين بعبادته وهديه ، وسلوكه .

إن سيرته تبعث فينا روح التكاتف والتوحد التي هي أحوج ما تكون إليها في عصرنا الحاضر .

إنها الإطلالة السمحة الندية التي تبعث في النفوس الأمل بحياة أفضل مشفوعةٍ بالعمل للآخرة . والله الموفق .

غرة رمضان المبارك ١٤١٠ هـ
١٩٩٠/٣/٢٨

المؤلف

تقديم : الحجة الشيخ محمد تقي الفقيه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين ، الذين أدّوا الأمانة ، واجتنبوا الخيانة ، ونصحوا لله ورسوله وللمؤمنين ، فكانوا من خيرة أوصياء الأنبياء ، من أشدهم يقينا ، وأعظمهم صبرا ، وأكثرهم اجتهادا ، في حفظ ما ورثوه عن رسول الله (ص) وصيانته من التحريف والتأويل والتبديل ،واتباع المتشابه من الكتاب العزيز ، ثم تحملوا من المصاعب والمتاعب ، ومقاساة الشدائد ما تحملوا ، في سبيل إيصاله الى العلماء الصالحين ، المحافظين ، الذين اختارهم الله سبحانه من خلقه ، لمشاركتهم في ذلك كله بعد غيبتهم ، فقاموا بالمهمة جهدهم ، فكان ذلك مصداقاً لقول رسول الله (ص) : علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل ، أو أفضل من أنبياء بني اسرائيل . ولقوله (ص) : مِدادُ العلماء أفضل من دماء الشهداء . وقد صدق رسول الله (ص) وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . فاننا كنا وما زلنا نلمس ونلمح في العلماء ، وفي آثارهم ، وفيما يحكى عنهم ، من الصبر والورع والتسديد ، ما يشهد بأنهم في صفوف هؤلاء الأنبياء .

وبعد : فقد كنت وما زلت ، أسأل الله سبحانه أن أكون وذريتي ، من

الذين يقتفون آثارهـم ، ويترسمون خطـاهم ، ويستعينون بالله ، وبـه يستنصرون ، لنفوز بالانضمام الى هذا الموكب المشرق الرفيع ، قولا وعملا، وسمتاً ، وهدياً ، ولنتشرف بمحاولة حمل رسالتهم ، وفي فهمها ، وحفظها ، والعمل بها ، ونشرها •

وانني ــ بحمد لله سبحانه ــ ألمـح آثار الاستجابة ، فـي نفسي ، وولدي ، وفي طليعتهم اليوم ثانيهم « ولدي الجواد » ويتجلى ذلك في كتبه الثلاثة : ١ ــ (الانسان بين الحياة والموت) ٢ ــ (نظريات تتعلق بالكون والمبدأ) ٣ ــ (أبو ذر) وهو الكتاب الذي بين يديك •

فقد أعطاه الله قلماً محبباً مفهماً ، قليل الفضول ، وهداه الى الأخذ بأوائل معالم الطريق ، فهو ممن يهتم في فهم الاسلام ، وفـي تفهيمه لأهل هـذا العصر بلغتهم ، ثم فـي عرض الشخصيات الاسلامية النبيلة ، التي ساهمت مع النبي (ص) مساهمة فعالة ، في نشر دعوته ، بالسير في سيرته، في سلوكها ، وأقوالها ، وأفعالها ، فقد كانوا يجسدون الاسلام قولا وعملا، فكانت أقوالهم حجة على الخاصة ، وأعمالهم دليلا وقدوة للعامة •

وكتاب (أبي ذر) الذي هو بين يديك ، يهدف فيه مؤلفه الى تجسيد العقيدة الاسلامية ، بعرض صور للذين اعتنقوا الاسلام وهو في مهده ، صور هي أقرب شيء لواقعهم باحاطة وأمانة ، وتفهم ، وإتقان ، على عكس ما فعله المؤلفون من قبله ، فانهم اذا تحدثوا عن واحد من أولئك ، تحدثوا عنه من جانب واحد ، يتصلْ بنفسياتهم ، أو بما يهدفون اليه • فمن كان يرغب في الزهد ــ سواء فهم معناه أو لم يفهمه ــ تحدث عن أبي ذر من هذه الناحية فقط ، ومن كانت له ميول فكرية خاصة ، انحرف بسيرة أبي ذر إلى ما يتلائم مع ميوله .

وعلى مرور الوقت ، أصبح أبو ذر يظهر للقراء علـى شاشة العرض شخصية محدودة بحدود ضيقة جداً ، تجعله متعبدا غيورا على الاسلام ، جريئاً على الحكام ، جرأة تنسيه قوله تعالى : أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة •

هذا ، مع ان أبا ذر ، أحد أركان الاسلام في مهده ، وهو أول من شهر السيف في وجه المشركين ، حين كـان يقطع الطريق علـى قوافل قريش ، فينفرّ بهم ، فكانت الإبل تلقي أحمالها ، فلا يدعهم يأخذون منها شيئا حتى يسلموا • وهو أيضا ــ أحد معتمدي النبي (ص) ، وأحد عظماء الصحابة ، وهو من حواريي رسول الله (ص) وحواريي أمـير المؤمنين علي (عليـه السلام) ، وليس من المنطق أن يمر في مخيلة أي انسان عاقل ، أن محمداً (ص) وعلياً (ع) ، وهما من عظماء البشر ، رفعا أبا ذر الذي تصوّره كتب الذين كتبوا عنه •

وستراه في الكتاب الذي بين يديك انسانا آخر يرتفع عـن عظماء الصحابة بالشجاعة ، والعلم والعمل ، وقوة الارادة والزهد ، والاخلاص ، والصبر ، والتحمل • ولو فسح لي الوقت مجالا لأوجزت مـا أعرفه عنه ، وهو بعض ما استطعنا أن نصل اليه اثناء مطالعاتنا ، ولو تـم لـي ذلك ، لأريتك أبا ذر انساناً يسير في ركب الأنبياء ، يتمتع بكياسة وقوة ، وعزة ، وجرأة ، ونزاهة •

وفق الله المؤمنين للاقتباس من أنواره وآرائه ، وحشرنا واياهم ، يوم القيامة تحت لوائه ، والسلام عليه ، وعليهم ، ورحمة الله وبركاته •

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

حينما نعمد الى دراسة شخصية تأريخية ــ أياً كانت ــ تطالعنا صور ومشاهد ، تضفي علينا مزيداً من الوضوح في البحث عن الجوانب الهامة المحيطة بها .

وأول شيء يواجهنا في هذا المضمار ، هو « السيرة » ولكن لا فائدة ولا جدوى منها بدون دراسة وتحليل . إذ أنها وحدها هيكل شاخص لا روح فيه ، فهي لا تتجاوز أن تكون كلمات مرسومة على الورق، بمستطاع كل قارىء أن يقرأها ، ويتندّر بها أمام أقرانه وزملائه ، كأي قصة تأريخية مثيرة ، من دون أن تترك في نفس القارىء أو السامع أي أثر نافع مفيد ، سوى انفعالات نفسية آنيّة .

ولكن ، حينما يصل الحديث الى عظماء الصحابة ، واستجلاء سيرتهم ، نجد أنفسنا أمام مدرسة مثالية ، غنية بالعطائين ، الفكري والروحي ، ومليئة بالعظات والعبر . ونلمس في سلوكهم وأفعالهم ، مع أنفسهم ومحيطهم ، تجسيداً كاملا للمبدأ الذي دعوا اليه وكافحوا من أجله ، كما نجد ان كلمتهم ، كانت الكلمة المسؤولة ، وحياتهم كانت كلها مواقف خالدة خلود الروح ، وباقية بقاء الإنسان .

إن هذا النمط من العظماء ، يخضع لمراحل صعبة على محكّ الإختبار

تجعلهم بمستوى المسؤوليات التي أنيطت بهم ، تلك المسؤوليات الهامة والصعبة التي تتعدى مرحلة الذات الى مستوى أمانة وممثلية لمواجهة الناس على اختلاف أهوائهم ، وألوانهم ، ومراتبهم •

وتتعدى مرحلة الوقت والجيل ، الى عصور وأجيال •

ونحن بدورنا نراهم يجتازون مراحل الإختبار هذه ، بصبر عجيب ، وصمود محيِّر ، حتى ولو أدى الأمر بهم الى النفي أو الى الموت •

ومن هذا النمط النادر — في الإسلام — الأركان الأربعة ، وهم : « أبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر » •

لقد عُرف هؤلاء الأربعة ، بأنهم أول من نادى بالتشيع لعلي عليه السلام والولاية له بعد رسول الله (ص) ، لقد نادوا بذلك على أنه من صميم الاسلام •• فكانوا المثل الأعلى للثبات على هذه العقيدة ، والدفاع عنها • وبذلك استحقوا هذا الوسام « الأركان الأربعة » •

وأبو ذر الغفاري (رض) — موضوع كتابنا هذا — واحد من هؤلاء ، دفعني الى إختياره فعلا ، أمران مهمان :

الأول : ما لهذه الشخصية من الأثر الديني الكبير في حياتنا الدينية والذي يتصل بحياته ، ومقدمه الى الشام ، وسكناه في منطقة (جبل عامل) مدة طويلة من الزمن ، أتاحت له الفرصة في نشر التشيع (لمذهب أهل البيت) • فالمشهور بين سكان هذه المنطقة أن أبا ذر هو صاحب الفضل في ذلك •

الثاني : ان الذين تناولوا شخصية أبي ذر لم يعطوه القدر الكافي من الإحاطة ، فقد لاحظت من خلال قراءاتي لبعض ما كتب حول هذا الموضوع ، ان بعضهم يحاول التركيز على الناحية القصصية ، والبعض الآخر على الناحية « الثورية » في مسلك هذا الرجل ، والبعض الآخر يجهد في إخراجه بصورة « المتصوف الراهب » ، وآخر يعطيه صفة « الحاقد على الأغنياء » الى غير ذلك من الأوصاف التي تتناسب مع رغبة الكاتب وتفكيره، ولا تتلائم مع شخصية أبي ذر المسلم الصحابي الجليل .

فأبو ذر لا يعدو كونه من أجلاء الصحابة وخيرتهم ، وجدير بمثله أن يكون عنواناً واضحاً للاسلام .

لذا فانني بذلت كامل جهدي في إلقاء الضوء على هذه الشخصية التأريخية المميزة ، محاولا بذلك الكشف عن جميع جوانبها ، دون أن أترك شيئاً مما يتعلق بها ، عدا بعض النصوص الزائدة التي لا جدوى من إثباتها ، وعدا ما يفوتني سهواً ، والعصمة لأهلها .

هذا الكتاب هو الحلقة الأولى في سلسلة ستتناول حياة « الأركان الأربعة » وسيرتهم ، آملين من وراء ذلك ، رضا الله وحده ، سبحانه وتعالى . والوقوف على شيء من حياة هؤلاء الصفوة — من الخالدين — في تأريخنا الإسلامي المجيد ، علنا نستمد من سيرتهم مزيداً من الصبر ، والثبات ، في دربنا الطويل ، والله الموفق .

محمد جواد الفقيه

١٤ ربيع الثاني / ١٤٠٠ هـ
٢ / ٣ / ١٩٨٠ م

الفَصْل الأوَّل

- صُورَة مُجْمَلة
- الفَارِسُ الشّجَاع
- تعَبُّدهُ قبْلَ الإسْلَام
- إسْلَامـه
- معَ الرّسُول (ص)
- التشيُّع ... مَا هُوَ ؟
- أبو ذرّ وَالتّشيُّع
- إقامتهُ في بلِاَد الشّام
- أبو ذرّ وَالتّشيُّع في جَبل عَامِل

صُورَة مُجْمَلة

أبو ذر الغفاري : جُندب بن جَنادة • *

رمز اليقظة في الضمير الانساني المتعب ، كما هو في الضمير الاسلامي •

أتمثله شيخاً حاني الظهر، ترسم على وجهه سيماء الأولياء والصالحين، وفي عينيه ألق ظل مشعاً بالأمل والحياة على هاتيك الفئات المظلومة من الناس •

أتمثله ، وهو ينهب الأرض بقدميه ، في رحلته التأريخية الثأرية ، حاملا على ظهره هموم المظلومين والمعذبين ، وعلى لسانه تتجسد صرختهم •

فهو هكذا أراد ، أراد أن يخرج عن حدود الزمان والمكان ، ويرقى قمة الحرية •• حرية الكلمة ، وحرية التعبير ، فكان منبر الاسلام في فترة من فترات الحكم •

---

* على الاصح الاشهر . وقيل اسمه : برير بن جنادة ، وقيل جندب بن سكن وقيل السكن بن جنادة ولكن المشهور المتسالم عليه هو جندب ابن جنادة ، ولا يعرف في كتب التراجم بغير هذا الاسم .

لقد بايع أبو ذر رسول الله (ص) ، على ان لا تأخذه في الله لومة لائم ، وعلى ان يقول الحق ، ولو كان مُرّاً [١] .

فالتزم ببيعته . فكان جريئاً في جنب الله آخر عمره ، كما كان في أول أمره .

ولعل أجرأ نداء صريح في مسمع حاكم ظالم ، كان نداء أبي ذر (ص) على أبواب الخضراء .. « أتتكم القطار بحمل النار ! اللهم إلعن الآمرين بالمعروف التاركين له ، اللهم العن الناهين عن المنكر ، المرتكبين له . » [٢]

هذا هو أبو ذر ، صاحب الكلمة الجريئة ، التي لا تعرف المداهنة ، ولا الرياء ولا الوجل .

خاطب معاوية ذات مرة ، مجيباً إياه : « ما أنا بعدو للّه ولا لرسوله ، بل أنت وأبوك عدوّان لله ولرسوله ، أظهرتما الاسلام ، وابطنتما الكفر ، ولقد لعنك رسول الله (ص) ودعا عليك مرات أن لا تشبع .

فقال معاوية : ما أنا ذاك الرجل .

فقال أبو ذر : بل أنت ذلك الرجل ! أخبرني بذلك رسول الله (ص) وسمعته يقول ، وقد مررتَ به : اللهم إلعنه ، ولا تشبعه إلا بالتراب .. » [٣]

وخُيّل لجلاديه الحاكمين ، أن غضبه إنما كان لنفسه ، وأنه ربما كان عن فاقة ألمّت به ، أو مطمع يدفعه الى ذلك ، فساوموه رجاء أن يسكت أو يكف ، لكنهم وجدوا خلاف ما كانوا يتوقعون .

(١) اعيان الشيعة / ١٦ / ٣١٩ نقلا عن اسد الغابة .
(٢) شرح النهج ج ٨ / ٢٥٧ .
(٣) شرح النهج ٨ / ٢٥٧ .

بعث اليه معاوية بثلاثمائة دينار ، فقال : إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا ، قبلتها . وان كانت صلة ، فلا حاجة لي فيها » ١

وقال له ــ ذات مرة ــ حبيب بن مسلمة أحد القادة : « لك عندي يا أباذر ، ألف درهم ، وخادم ، وخمسمائة شاة .

قال أبوذر : إعطِ خادمك ، وألفكَ ، وشويهاتِكَ ، من هو أحوج الى ذلك مني ! فاني إنما أسأل حقي في كتاب الله ..! » ٢

بهذه الصراحة ، وبهذا الوضوح يرسم لنا أبوذر بعض مواقفه ، إنه لم يكن ليثأر ، ويغضب لنفسه ، بل للحق الذي طالب بتثبيته ، وبذلك جعل من نفسه رمزاً يدفع بالمقهورين والمظلومين الى المطالبة بحقوقهم ، وعرض ظلاماتهم . فكان في تصرفاته تلك رائدا من رواد الحق ، يجازف بنفسه من أجل الآخرين .

وما أغناه عن أن يقاسي ما قاسى ، لو أراد .

لقد كان بوسعه أن يعيش حياة الرفاهية والترف ، شأن بعض الصحابة ممن هم دونه في الفضل بمراتب ، لو أراد !

ولكن في هذه النقطة تكمن احدى الفوارق ما بين الانسان الرسالي ، والانسان العادي .

بين الانسان الذي يحمل هموم ومستقبل أمة بأسرها ، وبين انسان ينشغل بنفسه ولهوه ، متخماً يتجشأ على موائد الترف !

---

(١) الغدير ٨ / ٢٩٣ .
(٢) اعيان الشيعة ١٦ / ٣٦٤ عن آمالي الطوسي .

نعم . كان أبو ذر انساناً رسالياً ، ولـم يكن انساناً عاديا . وكان في بعض مواقفه يمثل مواقف أمير المؤمنين علي عليه السلام ، ولا غرو ولا عجب ، فهو تلميذ الإمام وواحد من أكثر الناس إخلاصاً له .

قال أمير المؤمنين (ع) :

« ولو شِئتُ لاهتديتُ الطريق الى مُصفىَّ هذا العسلِ ، ولبُابِ هذا القمح ، ونَسائِج هذا القزّ ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جَشعي الى تخيُّرِ الأطعمة ، ولعلَّ بالحجاز أو اليمامة ، من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشبع ، أوَ أبيتُ مبطاناً ، وحولي بطون غرثى ، وأكباد حرّى ، أوَ أكونُ كما قال القائل :

وحسبك داء أن تبيـت ببطنـةٍ وحولك اكباد تحِنُّ الى القِدِّ[1]

لقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام ، يقول هذا ، ومقدرات الأمة تحت قبضة يده ، بـل المعروف أن صدقاته الخاصة وحدها كانت تساوي آلاف الدنانير ذهباً .

نعم . كان يقول هذا ـــ ويعمل بما يقول مع نفسه ـــ ليلفت أنظـار المسلمين الى ضرورة تفقد الضعفاء ، والمقهورين ، والمدفوعين عن حقوقهم ، ويلفت انظار الولاة الى الرفق بالرعية وتفقد أحوالهم .

وكان أبو ذر ـــ تلميذ الإمام ـــ ممن سار على هذا الهدي ، فقد كان عطاؤه السنوي اربعماية ديناراً ذهباً . ومع هذا فانه كـان لا يدخر منها

(١) نهج البلاغة ٣ / ٧١ / ٧٢ (الجشـع ـ الحرص ـ البطنـة ـ الاشـر والبطر .) القد : سير من جلد غير مدبوغ، والمعنى ان بعضهم يطلب أكله فلا يجده .

شيئاً • وكان يندد بالكانزين للذهب والفضة الذين لا يخرجون الزكاة الواجبة منها ، أو الذين أخذوها من طرق غير مشروعة أيام عثمان • وكان يطلب حقه (في كتاب الله) كما تقدم • ويرفض الألف درهم ، والعبد والخمسماية شاة •

اجل • انه لم يكن ليفعل هذا عن فاقة ، أو مطمع ، بل كان يريد إلفات المسؤولين ــ في حينه ــ الى انصاف المظلومين ، وايصال كل ذي حق الى حقه •

وأعيت الحيلة غرماءه الحاكمين في إسكاته ، فعمدوا الى طريقة ثانية قرروا فيها إسكاته ، وكانت طريقة ناجحة ــ في نظرهم ــ فنفوه الى الربذة •

حمل من الشام الى المدينة على مركب وعر ، حتى تسلخ فخذاه ، ثم بعد ذلك ، نفي الى الربذة * بعيداً عن مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومواطن الايمان ، حتى توفي غريباً هناك !

رحم الله أبا ذر ، لقد كان ينسى كل جراحه وآلامه في رحلته الثأرية تلك ، ليكتب على رمال الصحراء ملحمته الخالدة •

ملحمته التي ستبقى مع الشمس تشرق ، ولكنها لا تغيب !!

---

* الربذة : موضع على بعد ثلاثة ايام من المدينة . . . معجم البلدان ٣/٢٤ .

الفَـارِسُ الشّجَـاع

الشجاعة أو الجرأة • موهبة يتمتع بها غالب عظماء الانسانية ، فهي لا تقبل التكلف ولا تستقيم معها محاكاة • وهي ايضاً صفة كريمة تميَّز بها العرب بصورة عامة ، والمسلمون بصورة خاصة •

فالعربي بطبعه ـ غالباً ـ شجاع غير هياب ، يتقحم موارد الهلكة ، إن رأى في ذلك ما يرضي مزاجه ، حتى ولو كانت الخسارة عنده أكبر في ميزان الاحتمال • ولعل هذه الخصلة الكريمة ، هي احدى معطيات الطبيعة الصحراوية ، وما فرضته من خشونة العيش على هذا الانسان •

فالمعروف عن العرب القدامى ، أن ظروفهم المعاشية كانت صعبة للغاية، فكانت جلّ حياتهم الاقتصادية تقوم على الغـزو أو السلب ، أو طَرْق الأحياء ، أو ما شابه ذلك، مما كان متسالم عليه لديهم آنذاك * ، ولا يرون فيه أي إخلال بالشرف أو المكانة الاجتماعية ، بل على العكس من ذلك ، فقد كان هذا العمل يُكسب القائم به رفعة وسؤدداً في قبيلته وبني قومه • فكان المغيرون على الأحياء يتفاخرون بذلك • وينشدون فيه الأشعار •

* وكانت التجارة احدى الدعامات الاقتصادية الهامة ، لكـن يبـدو انهـا كانت مختصة بطبقة معينة من أصحاب السيادة .

قال طفيل الغنوي :

وغارة كجـراد الريـح زعزعهـا   مخراق حرب كنصل السيف بهلول[1]

وهم يرون في ذلك ردءاً لهم من الغارات التي يمكن أن تشنها عليهم القبائل الأخرى ، كما يرون في ذلك إظهارا لشجاعتهم وقوتهم حتى لا يفكر الآخرون بغزوهم .

قال المثقب العبدي :

ونحمي على الثغـر المخوف ويتقى   بغارتنـا كيد العـدى وضشيومها[1]

وقال زهير في معلقته :

ومن لم يذد عـن حوضه بسلاحه   يهدم ومن لـم يظلم الناس يظلم

والمسلم الحقيقي شجـاع ايضا بمقتضى تركيبته الذهنية الخـاصة التي صقلها الاسلام ، وروحه الرسالية المستمدة منه ، فهو لا يعرف معنى الخوف من الموت ــ في الله ــ لأنه مؤمن بسلامة المصير ، فلا يرى غير الجنة اعدت للمتقين في الآخرة ، ومتى كان الامر كذلك ، يهون عليه كل شيء في سبيل ذلك حتى نفسه . وتأريخنا الاسلامي حافل بالبطولات والتضحية كما هو بيّن وواضح لدى كل من يتتبعه .

وصاحبنا أبو ذر رضي الله عنه ، الذي هو موضوع بحثنا الآن ، كان ممن اتسم بأعلى معاني البطولة والشجاعة ، في الجاهلية ، وفي الاسلام .

---

(١) شعر الحرب في العصر الجاهلي ٨٠ و ٤٦٢ (البهلول : السيد الجامع لكل خير) و (المخراق : الرجل الحسن الجسيم المتصرف بالامور الذي لا يقع في أمر الا خرج منه) .

ففي الجاهلية كان شجاعاً بطبعه ، بل في طليعة الشجعان المغامرين ، فالمعروف عنه أنه كان فارس ليل ، لا يعرف معنى الخوف ولا الوجل ، يغير على الحي ، وعلى القوافل ، فيصيب منها ، ثم يرجع الى مقره .

روى بن سعد في الطبقات ، بسنده :

كان أبو ذر رجلا يصيب الطريق ، وكان شجاعاً يتفرد وحده بقطع الطريق ، ويغير على الصرم * في عماية الصبح على ظهر فرسه ، أو على قدميه ، كأنه السبع ، فيطرق الحي ويأخذ ما أخذ . ثم إن الله قذف في قلبه الاسلام [1] .

وهذه الرواية لا تنافي كونه كان متعبداً قبل الاسلام ، يتألّه ويعبد الله وحده ، فمما لا يخفى على الباحث والمطلع ، أن هناك أموراً كانت سائدة لدى العرب في الجاهلية وكانوا متسالمين على أكثرها فأقرّ الاسلام بعضها، ونهى عن بعضها الآخر ، فكان من جملة ما نهى عنه الاسلام هذه الخصال الذميمة وهي قطع الطرق ، والإغارة على الناس في مآمنهم ، فانتهى عنها المسلمون . ولا مانع من أن يكون أبو ذر متعبداً قبل الاسلام بسنوات ويفعل بعض هذه الأعمال ، ثم انتهى عنها حين نهى الاسلام عنها ! إنه لا مانع من ذلك قط ، ولا يُخلّ هذا بشرفه ومكانته . هذا ، اذا لم نقل بأنه كان يفعل ذلك مع الفئات والقبائل التي تعبد الأصنام ، استحلالاً منه لذلك . فمن يدري ؟

وحين اسلم أبو ذر ، زاده الاسلام شجاعة الى شجاعته ، ومنحه زخماً

* الصّرم : الفرقة من الناس ليس بالكثير .
(١) أعيان الشيعة ١٦/٣٢٠ .

لا تدرك حدوده ، فكان من فرسان الاسلام وأبطالهم ، من أول يوم . فقد قال للنبي (ص) :

يا رسول الله ، اني منصرف الى أهلي ، وناظر متى يؤمر بالقتال ، فألحق بك ، فاني أرى قومك عليك جميعاً !

فقال رسول الله (ص) : أصبت .

فانصرف ، فكـــان يكون بأسفل ثنية غزال [1] فكـــان يعترض لعيرات قريش ، فيقتطعها فيقول : لا أرُدّ لكم منها شيئاً حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله .!

فان فعلوا ، ردّ ما أخذ منهم ، وان أبوا ، لم يرد عليهم شيئاً ، فكان على ذلك ، حتى هاجر رسول الله (ص) ومضى بدر ، وأحد ، ثم قدم فأقام بالمدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم [2] .

---

(١) ثنية غزال موضع بين مكة والمدينة .
(٢) اعيان الشيعة ٣٢١/١٦ عن الطبقات الكبرى لابن سعد .

تعَبُّدهُ قبْلَ الإسْلاَم

قال عبدالله بن الصامت ، قال أبو ذر :

« وقد صليت ــ يا ابن أخي ــ قبل أن ألقى رسول الله (ص) بثلاث سنين .

قلت : لمن ؟

قال : لله .

قلت : فأين توجّه ؟

قال : أتوجه حيث يوجهني ربي ، أصلي عشاء ، حتى اذا كان من آخر الليل ، أُلقيت *كأني خِفاء * [1] حتى تعلوني الشمس [2] . وكان أكثر عبادته التفكر والاعتبار [3] .

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد : كان أبو ذر يتأله في الجاهلية ، ويقول لا إله إلا الله ، ولا يعبد الأصنام . فمرّ عليه رجل من أهل مكة ــ بعدما أوحي الى النبي (ص) ــ فقال : يا أبا ذر ! إن رجلا بمكة يقول مثل ما تقول لا إله إلا الله ، ويزعم انه نبي [4] ..

---

(١)* الخفاء ــ الكساء الذي يغطى به السقاء .

(٢) صحيح مسلم ــ ٤ ــ ص ١٩٢٠ ب ٢٨ ــ فضائل الصحابة .

(٣) الخصال ص ٤٢ .

(٤) الغدير ٨ / ٣٠٨ .

إسلامه

حين تناهى الى سمع أبي ذر ، نبأ ظهور النبي (ص) في مكة ودعوته الناس الى الاسلام عقد العزم على اللقاء به ، والاستماع منه . لكنه فضل بادىء الأمر أن يرسل أخاه ــ أنيساً ــ * ليحمل اليه بعض أخباره ، فقال لــه :

---

* ومن غريب ما ورد في خبر اسلامه ايضا :

ان ذئبا عدى على غنم له من جانب ، فنجش عليه ابــو ذر بعصــاه ، فتحول الى الجانب الآخر ، فنجش عليه ، فقال : ما رايت ذئبا اخبث منك ؟ فأنطق الله الذئب فقال : أشر مني اهل مكة ! بعث الله اليهم نبيا، فكذبوه وشتموه . فخرج أبو ذر من اهله يريد مكة .. الخ .. هكذا ورد في كتاب الواعظ م٢ ص ١٤٦ .

وهذه الرواية ــ اذا صحت ــ فهي معجزة للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ذكر الدميري في كتاب الحيوان ١ ص ٣٦٢ قريبا من ذلك بدون أن يذكر الاسم . قال : عن ابي سعيد الخدري :

بينما راع يرعى بالحرّة ، اذ عدا الذئب على شاة ، فحال الراعي بينه وبينها ، فاقعى الذئب على ذنبه ، وقال : يا عبدالله ، تحول بينــي وبين رزق ساقه الله الي ؟

فقال الرجل : واعجبا ! ذئب يكلمني ؟ فقال الذئب : آلا اخبرك بأعجب مني ، هذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين الحرتين يخبــر الناس بأنباء ما قد سبق !

=

« اركب الى هذا الوادي ، واعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم انه يأتيه الخبر من السماء ! واسمع من قوله ، ثم إإتني •

انطلق أنيس ، حتى قدم مكة ، وسمع من قوله •

ثم رجع الى أبي ذر ، فقال : رأيته يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر، ويأمر بمكارم الأخلاق ، وسمعت منه كلاماً ، ما هو بالشعر !

فقال له أبو ذر : ما شفيتني فيما أردتُ •

فتزود وحمل شنَّة له فيها ماء ، حتى قدم مكة • فأتى المسجد ، فالتمس النبي (ص) وهو لا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه الليل ، فاضطجع • فرآه علي بن ابي طالب (ع) فقال : كأن الرجل غريب • قال : نعم •

قال : انطلق الى المنزل •

قال أبو ذر : فانطلقت معه ، لا يسألني عن شيء ولا أسأله • فلما

= فزوى الراعي شياهه الى زاوية المدينة ، ثم اتى النبي (ص) فأخبره ، فخرج رسول الله (ص) فقال : صدق والذي نفسي بيده .
(ثم قال) : قال ابن عبد البر : وغيره كلم الذئب من الصحابة ثلاثة : رافع بن عميرة ، وسلمة بن الاكوع ، واهبان بن اوس الاسلمي ، قال : ولذلك تقول العرب : هو كذئب اهبان يتعجبون منه . وذلك ، ان أهبان بن اوس المذكور كان في غنم له ، فشد الذئب على شاة منها ، فصاح به اهبان ، فاقعى الذئب ، وقال : اتنزع مني رزقا رزقنيه الله ؟! فقال اهبان : ما سمعت ولا رايت اعجب من هذا ، ذئب يتكلم ؟. فقال الذئب : أتعجب من هذا ، ورسول الله (ص) بين هذه النخلات ، وأومأ بيده الى المدينة يحدث بما كان وبما يكون ، ويدعو الناس الى الله والى عبادته وهم لا يجيبونه .. الخ.

أصبحت من الغد ، رجعت الى المسجد ، فبقيت يومي حتى أمسيت ، وسرت الى مضجعي . فمر بي عليّ ، فقال : أما آن للرجل أن يعرف منزله ؟

فأقامه ، وذهب به معه ، وما يسأل واحد منهما صاحبه .

حتى اذا كان اليوم الثالث ، فعل مثل ذلك ، فأقامه عليّ معه .

ثم قال له علي (ع) : ألا تحدثني ما الذي اقدمك هذا البلد ؟

قال : إن اعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني . فعلت . ففعل .

فأخبره علي (ع) عنه أنه نبي ، وأن ما جاء به حق ، وأنه رسول الله (ص) . ثم قال له : فاذا أصبحت ، فاتبعني ، فاني إن رأيت شيئاً أخاف عليك ، قمت كأني أريق الماء ، فان مضيت ، فاتبعني حتى تدخل معي مدخلي .

قال : فانطلقت أقفوه ، حتى دخل على رسول الله (ص) ودخلت معه ، وحييت رسول الله بتحية الاسلام ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله ـ وكنت أول من حياه بتحية الاسلام ـ .

فقال (ص) : وعليك السلام . من أنت ؟

قلت : رجل من بني غفار . فعرض علي الاسلام فأسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

فقال لي رسول الله (ص) : ارجع الى قومك ، فأخبرهم ، واكتم أمرك عن أهل مكة فاني أخشاهم عليك .

فقلت : والذي نفسي بيده ، لأصوّتن بها بين ظهرانيهم .

فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله •

فثار اليه القوم وضربوه حتى أضجعوه •

فأتى العباس ، فأكب عليه وقال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من بني غفار ، وأن طريق تجارتكم الى الشام عليهم ، وأنقذه منهم •

ثم عاد من الغد الى مثلها ، وثاروا اليه فضربوه ، فأكب عليه العباس ، فأنقذه • ثم لحق بقومه •[1]

ومن طريف ما يروى عنه :

أنه رأى إمرأة تطوف بالبيت ، وتدعو بأحسن دعاء في الارض ، وتقول : اعطني كذا وكذا •• ثم قالت في آخر ذلك : يا إساف ، ويا نائلة•!! (وهما صنمان لقريش ، زعم أنهما كانا من أهل اليمن ، أحب أحدهما الآخر ، فقدما حاجين ، فدخلا الكعبة ، فوجداها خلواً من كل أحد ، ففجرا بها ، فمسخا حجرين ، فأصبح الحجاج ، فوجدوهما حجرين ، فوضعوهما الى جانب ليتعظ بهما الناس كي لا يتكرر هذا العمل ، ثم توالت الأيام ، فعبدتهما قريش كبقية الأصنام) •

فالتفت أبو ذر الى تلك المرأة ، قائلا : أنكحي أحدهما صاحبه !•

فتعلقت به ، وقالت : أنت صابىء ، فجاء فتية من قريش فضربوه ، وجاء ناس من بني بكر ، فنصروه •

---

(١) اعيان الشيعة ج ٣١٦/١٦ ــ ٣١٧ نقلا عن : الاستيعاب / باب الكنى . وفي الاصابة ٤ / ص ٦٢ ــ ٦٣ وفي صحيح مسلم قريبا من ذلك .

فجاء الى النبي ، فقال : يا رسول الله ، أما قريش ، فلا أدعهم حتى أثأر منهم ... ضربوني !!

فخرج حتى أقام بعسفان [١] وكلما أقبلت عير لقريش يحملون الطعام ، ينفر بهم على ثنية غزال فتلقي أحمالها ، فيجمعوا الحنط ، (فيقول أبو ذر لهم) : لا يمس أحد حبة حتى تقولوا ، لا إله إلا الله . فيقولون ، لا إله إلا الله ، ويأخذون الغرائر ! [٢]

وحين رجع أبو ذر الى قومه، نفذ وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فدعاهم الى الله عز وجل ونبذ عبادة الأوثان والايمان برسالة محمد (ص) ، فكان أول من أسلم منهم أخوه أنيس ، ثم اسلمت أمهما ، ثم أسلم بعد ذلك نصف قبيلة غفار ، وقال نصفهم الباقي : اذا قدم رسول الله المدينة ، أسلمنا .

جاء في صحيح مسلم : عن أبي ذر قوله :

فأتيت أنيساً ، فقال : ما صنعت ؟ قلت : صنعت ، أني قد أسلمت وصدقت . قال : ما بي رغبة عن دينك .!

فأتينا أمنا . فقالت : ما بي رغبة عن دينكما ! فاني قد أسلمت وصدقت .

فاحتملنا [٣] حتى أتينا قومنا غفاراً . فأسلم نصفهم .

---

(١) عسفان : موضع على بعد ستة وثلاثين ميلا ، (بين مكة والمدينة) المعجم .

(٢) أعيان الشيعة ١٦ / ٣٢٠ — ٣٢١ . الكلمات التي بين قوسين خارجة عن الاصل .

(٣) يعني حملنا انفسنا ومتاعنا .

وقال نصفهم : اذا قدم رسول الله المدينة ، أسلمنا . فقدم رسول الله المدينة ، فأسلم نصفهم الباقي . وجاءت أسلم [١] فقالوا : يا رسول الله ! اخوتنا ، نسلم على الذي أسلموا عليه . فأسلموا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفار غفر الله لها . وأسلم سالمها الله . » [٢]

ومجمل القول : فان أبا ذر (ص) كان من المبادرين الأول لاعتناق الاسلام حتى قيل انه رابع من أسلم ، وقيل خامسهم .

قال في الاستيعاب :

كان إسلام أبي ذر قديماً . يقال بعد ثلاثة ، ويقال : بعد أربعة ، وقد روي عنه أنه قال : أنا ربع الاسلام . وقيل : كان خامساً .[٣]

وقال الواقدي : واسلم أبو ذر ، قالوا رابعاً ، أو خامساً [٤] ..

---

(١) اسم قبيلة .
(٢) صحيح مسلم ٤ / ك الفضائل ص ١٩٢٢ .
(٣) الاستيعاب / حاشية على كتاب الاصابة / م ١ ص ٢١٣ .
(٤) الكامل ٢ / ٦٠ .

معَ الرّسُول (ص)

لم يـأمر النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) أبا ذر (رض) بـاللحاق بقومه ، ودعوتهم الى الاسلام ، إلا لأنه توسم فيه صفات الكمال ، لما يتمتع به من روح عالية ، وثبات لا يتزعزع ، وتفان في العقيدة ، فوجده أهلا لأن يقوم بدور من هذا النوع ، والاسلام يمر بأدق المراحل وأخطرها .

نحن نعلم أ نالنبي صلوات الله عليه كان ـ في بدء رسالته المباركة ـ يحتاج الى مزيد من المؤيدين والأعوان في داخل مكة ، وفي خارجها . في داخل مكة ، لتقوية الصف فيها ، وليمنع نفسه من قريش ! وفي خارج مكة ، لنشر مبادىء هذا الدين الجديد الحنيف ، واستقطاب أكبر عدد ممكن من الأفراد المسلمين كي ينهض بهذا الأمر جهرة وعلى الصعيد العام ، وتكون لديه القوة الكافية لصد أعدائه الذين يتربصون به الغيلة ويخططون للقضاء عليه وعلى الرسالة في مهدها .

ولقد آثر النبي (ص) إيفاد أبي ذر الى قومه بني غفار ، على بقائه معه ، لثقته العالية بأنه سينجح في نشر الاسلام بينهم .

وهذا ما حصل ، فقد نجح أبو ذر في ذلك ، فقد أسلم نصف قومه على يده ، وأسلم النصف الباقي عنـد مجيء النبي (ص) الـى المدينة كما اسلفنا .

وبقي أبو ذر بينهم فترة طويلة • لم يحضر في خلالها غزاة بدر ولا أحد ، ولا الخندق (كما تقول الروايات) ، بقي بينهم في خندق الجهاد الآخر ، حيث كان يفقههم في دينهم ، ويعلمهم أحكام الاسلام ، وهذا جهاد يحتاج الى عزيمة وحكمة ودراية ونفس طويل •

وليس من الوارد في ذهن من يعرف أبا ذر ، أن يعتقد بتخلفه عن هذه الغزوات الثلاث بمحض ارادته واختياره ، بل من المؤكد أن تخلفه عنها ، وبقاؤه في قومه إنما كان بايعاز من الرسول الكريم (ص) • والجهاد بالسيف مقرون مع الجهاد في اللسان ، بتعليم الناس أحكام دينهم ، وتفقيههم بها بعد تعلمها من رسول الله (ص) ، فكل منهما يوازي الآخر في جميل الأثر عند الله سبحانه .

قال تعالى : « وما كانَ المؤمنونَ لِينفروا كافةً فلولا نَفَرَ مِن كلِّ فِرقةٍ مِنهُم طائِفةٌ لِيَتفقَّهوا في الدِّين ولِيُنذِروا قومَهُم اذا رَجِعُوا اليهم لَعلَّهُم يَحذَرُون » ٩ ــ ١٢٢ •

وهكذا قضى أبو ذر ، فترة بين بني قومه ، ثم عاد ليصحب النبي (ص) ويأخذ عنه العلم والمعارف والحكمة .

وقد حظي من رسول الله (ص) بالاهتمام الكبير ، والعناية الخاصة • فقد كان رسول الله (ص) يبتدئه بالسؤال والكلام اذا حضر ، ويسأل عنه اذا غاب •

فعن ابي الدرداء قال : « كان النبي صلى الله عليه وآله يبتدىء أبا ذر اذا حضر ، ويتفقده اذا غاب • » [١]

ويظهر من بعض الأخبار انه (ص) كان يمازحه ، كما كان هو يمازح

---

(١) الاصابة ٤/٦٣ والاستيعاب ص ٦٤ •

النبي صلوات الله عليه وهذا إن دل على شيء ، فانما يـدل علـى مكانته الخاصة لدى النبي (ص) .

فقد روي انه قدم الى المدينة ، فلما رآه النبي قال له : « أنت أبو نملة!
فقال : أنا أبو ذر .
قال (ص) : نعم ، أبو ذر . [1]

وعن الصادق عليه السلام ، قال :

طلب أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقيل إنه فـي حائط (بستان) كذا وكذا .

فتوجه في طلبه ، فوجده نائماً ، فأعظمه أن ينبهه . فأراد ان يستبرىء نومه مـن يقظته ، فتناول عسيباً يابساً ، فكسره ليسمعه صوته . فسمعه رسول الله (ص) فرفع رأسه فقال :

يا أبا ذر ، تخدعني . أما علمت أني أرى أعمالكم فـي منامي ، كما أراكم في يقظتي ! إن عينيَّ تناماں ، ولا ينام قلبي !! [2]

وكان رضي الله عنه في صحبته للنبي (ص) حريصاً علـى اقتباس العلوم ، فكان يغتنم الفرصة في ذلك ، ويحدثنا هو عن نفسه ، فيقول :

لقد سألت النبي (ص) عن كل شيء ، حتى سألته عن مس الحصى (في الصلاة) ، فقال : مسّه مرة ، أو دع . [3]

وقال : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وآله ومـا يحرك طائر جناحيه في السماء ، إلا ذكّرنا منه علما . [4]

---

(١) الاصابة ٦٣/٤ والاستيعاب ص ٦٤ .
(٢) معجم رجال الحديث ١٧١/٤ .
(٣) الغدير ٣١٢/٨ عن مسند احمد .
(٤) الاستيعاب ٦٤/٤ .

وقال : دخلت ذات يوم في صدر نهاره علـى رسول الله (ص) فـي مسجده ، فلم أر في المسجد أحداً من الناس إلا رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعلي عليه السلام جالس الى جانبه ، فاغتنمت خلوة المسجد ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، أوصني بوصية ينفعني الله بها •

فقال صلى الله عليه وآله : نعم ، واكرم بك يا أبا ذر ، إنك منا أهل البيت •• [١] وقد ذكرتُ وصيته بكاملها في آخر الكتاب ، وهي من عظيم كلامه (ص) ، وتصلح أن تكونَ بذاتها موضوعاً مستقلا يدرس •

وفي ميدان معارفه وعلومه التي اكتسبها من النبي (ص) نذكر مـا قاله أمير المؤمنين علي (ع) حين سئل عن أبي ذر • فروي أنه قال في ذلك :

وعى أبو ذر علما عجز الناس عنه ، ثم أوكأ عليه ، فلـم يخرجِ شيئاً منه • [٢] وانما أوكأ أبو ذر على ذلك العلم ، ومنعه عن الناس ، لأنه لا تحتمله عقولهم •

وفي رواية أخرى عن علي عليه السلام ، فيه :

« وعى علما عجز فيه ، وكان شحيحاً حريصاً على دينه ، حريصا على العلم ، وكان يكثر السؤال ، فيُعطى ويُمنع ، أما ان قد ملىء في وعائه حتى امتلأ • » [٣]

وجاء عن كتاب حلية الأولياء : في هذا الصدد :

كان أبو ذر رضي الله تعالى عنـه ، للرسول (صلى الله عليه وآله)

---

(١) تنبيه الخواطر ٢/٣٠٠ •
(٢) الاستيعاب / حاشية على الاصابة ٤/٦٤ •
(٣) الغدير ٨/٣١١ •

ملازما وجليسا ، وعلى مسائلته والاقتباس منه حريصا ، وللقيام على ما استفـاد منـه أنيسا ، سأله عن الأصول والفروع ، وسأله عـن الايمان والاحسان ، وسأله عن رؤية ربه تعالى ، وسأله عن أحب الكلام الى الله تعالى ، وسأله عن ليلة القدر أترفع مع الأنبياء ، أم تبقى ؟ وسأله عـن كل شيء حتى مس الحصى في الصلاة . [1] الخ .

وقد منحه النبي صلى الله عليه وآله أوسمة عالية أهمها :

قوله (ص) : ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر . ومن سرّه أن ينظر الى تواضع عيسى بن مريم ، فلينظر الـى أبي ذر . (٢) .

وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عـن صحة هـذا الحديث ، فصدّقه .

ففي معاني الأخبار بسنده ، عن رجل . قال :

قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أليس قال رسول الله صلى الله عليه وآله فـي أبي ذر ـ رحمة الله عليـه ـ ما أظلّت الخضراء ، ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة ، أصدق من أبي ذر ؟

قال : بلى .

قال : قلت : فأين رسول الله ، وأمير المؤمنين ؟ وأين الحسن والحسين؟

قال ، فقال لي : كم السنة شهراً ؟

---

(١) نفس المصدر ٣١٢ .
(٢) الاستيعاب / الاصابة ١ / ٢١٦ .

قلت : إثنا عشر شهراً .

قال : كم منها حُرُم ؟

قال : قلت : أربعة أشهر .

قال : فشهر رمضان منها ؟

قال : قلت : لا .

قال (ع) : إن في شهر رمضان ليلة أفضل من ألف شهر ! إنّا أهل بيت لا يقاس بنا أحد !.[1]

في غزوة تبوك

في غزوة تبوك ، وقف بأبي ذر جمله ، فتخلف عليه ، فقيل : يا رسول الله : تخلف أبو ذر .

فقال (ص) : ذروه ، فان يك فيه خير ، فسيلحقه الله بكم ، فكان يقولها لكل من تخلف عنه .

فوقف أبو ذر على جمله ، فلما أبطأ عليه ، أخذ رحله عنه ، وحمله على ظهره ، وتبع النبي (ص) ماشياً .

فنظر الناس ، فقالوا : يا رسول الله ، هذا رجل على الطريق وحده .

فقال رسول الله (ص) : كن أبا ذر !

فلما تأمله الناس ، قالوا : هو أبو ذر !

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ويشهده عصابة من المؤمنين .

---

(١) معاني الاخبار ص ١٧٩ .
(٢) الكامل ٢/٢٨٠ والاصابة ج ٤/٦٤ بلفظ قريب .

التشيُّع ... مَا هُوَ ؟

لكي تتثبت من الحقائق ، ونرفض كـل مـا يشيعه المغرضون حول عقيدة الشيعة ، ونشوئها في الاسلام ، يلزمنا ــ في هذا الحال ــ الرجوع الى عهود بعيدة ، مضت عليها قرون متعاقبة •

ولكن ، حينما يتحد المضمون ، تتلاشى عنده كـل المواقيت ، وكل مؤشرات القرب والبعد ، فهـو لا يتغير ، ولا يتبدل ، ولا يخضـع لأي ضوابط ، زمانية كانت أو غيرها •

المضمون بالنسبة لنا واحد ، ألا وهو « الاسلام » فهـو فـي كياننا اليوم ، كما كان بالأمس ، وكما كان قبل قرون ، وكما يكون غداً ، لا يتغير ولا يتبدل •

والتشيع بالنسبة لنا ، هو مـن صميم ذلـك المضمون • ليس طارئا ، وليس جديداً على الاسلام ، بل هو أصل من أصوله ، دعا اليه رسول الله (ص) ، كما دعا الى بقية أركان الدين •

فليس التشيع ، سوى حب أهـل البيت عليهـم السلام ، ومودتهم ،

والتمسك بهم ، وموالاة علي عليه السلام بعد رسول الله (ص) وأخذ معالم الدين من معدنه .

قال تعالى : « قلْ لا أسألُكُم عليهِ أجراً إلاّ المَودّةَ في القُربى » « ٤٢ — ٢٣ »

هذا هو التشيع ببساطة .

قال الأزهري : الشيعة ، هم الذين يهوون عترة النبي (ص) ، ويوالونهم [١] .

وقد نشأ التشيع لعلي (عليه السلام) في عهد رسول الله (ص) الذي أوصى المسلمين في مواطن كثيرة ، بالتمسك بأهل البيت (عليه السلام) كما دعاهم الى ولاء علي (ع) ونصّ على ذلك في حجة الوداع الاخيرة . حيث جاء في خطبته (ص) :

معاشر المسلمين ، ألست أولى بكم من أنفسكم ؟

قالوا : اللهم بلى .

قال : من كنت مولاه ، فهذا علي مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه وانصر من نصره ، واخذل من خذله » .

وقد روي هذا الحديث بطرق مختلفة ، وألفاظ متغايرة ، بمضمون واحد .

فقد رواه من الصحابة اكثر من مائة وعشرة صحابياً . ومن التابعين

---

(١) متن اللغة ٣ / مادة شيع .

أربعة وثمانون تابعياً ، ورواه من العلماء ، ثلاثمائة وستون عالماً [١] عدا من ألّف فيه .

وهذا الحديث هو المسمى بحديث الغدير ، نسبة لغدير خمّ . وقد تمسك به الشيعة الإمامية كدليل هام في إثبات الخلافة لعلي عليه السلام بعد رسول الله (ص) ، بالاضافة الى الأدلة الاخرى الكثيرة ، التي سنذكرها فيما بعد .

وعرف من الشيعة في عهد رسول الله (ص) جماعة ، منهم أبو ذر رضي الله عنه ..

قال أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني : « إن لفظ الشيعة على عهد رسول الله (ص) كان لقب أربعة من الصحابة ، سلمان الفارسي ، وأبي ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود الكندي وعمار بن ياسر [٢] الى آخره .

من جهة أخرى ، فقد ورد لفظ الشيعة (شيعة علي (ع)) على لسان النبي (ص) في عدة مناسبات . وما علينا الآن إلا أن نعرض بعض الاحاديث النبوية الشريفة المتضمنة لذلك .

١ ــ عن جابر بن عبدالله الأنصاري ، قال : « كنا عند النبي (ص) فأقبل علي بن أبي طالب ، فقال رسول الله (ص) : قد أتاكم أخي !

قال جابر : ثم التفت رسول الله (ص) الى الكعبة ، فضربها بيده ، ثم قال : والذي نفسي بيده ، إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة .. ثم

---

(١) راجع كتاب للغدير ج ١ من ص ٨ الى ص ١٥١ .
(٢) الشيعة وفنون الاسلام ص ٣١ .

قال : إنه أولكم إيماناً معي ، وأوفاكم بعهد الله تعالى ، وأقومكم بأمر الله ، وأعدلكم في الرعية ، وأقسمكم بالسوية ، واعظمكم عند الله مزيّة .

قال : ونزلت فيه « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة » .

قال : وكان أصحاب محمد (ص) اذا أقبل عليهم علي عليه السلام ، قالوا : قد جاء خير البرية » [1] .

٢ ـ أخرج الحافظ جمال الدين الذرندي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما . « ان هذه الآية لما نزلت ، قال (ص) لعلي : هم أنت وشيعتك ، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين .. [2] الخ .

٣ ـ أخرج أحمد في المناقب أنه (ص) قال لعلي (ع) : أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين ، وذريتنا خلف ظهورنا ، وأزواجنا خلف ذريتنا ، وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا . »

٤ ـ واخرج الديلمي : يا علي : ان الله عـز وجـل قـد غفر لك ، ولذريتك ، ولولدك ، ولأهلك ولشيعتك ، ولمحبي شيعتك .

٥ ـ وأخرج الطبراني عن علي (ع) قال : يا علي : ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه اعداؤك غضابا مُقمَحين [3] ..

٦ ـ وأخرج ابن مردويه ، عن علي عليه السلام قال : قال لي رسول

---

(١) فرائد السمطين ١ / ١٥٦ .
(٢) الصواعق المحرقة / ١٥٩ .
(٣) حق اليقين ١ / ١٧١ و ٢٠٥ .

الله (ص) ألم تسمع قول الله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » هم انت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض ، اذا جاءت الامم للحساب ، تدعون غرّاً محجلين .

٧ ــ وفي النهاية (لإبن الاثير ــ مادة قمح) : وفي حديث علي (ع) قال له النبي (ص) : ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين . ثم جمع يده الى عنقه يريهم كيف الإقماح .

٨ ــ عن ربيع الأبرار ، يروى عن رسول الله (ص) أنه قال : يا علي ، اذا كان يوم القيامة ، أخذت بحجزة * الله تعالى ، وأخذت أنت بحُجزتي وأخذ ولدك بحجزتك ، وأخذ شيعة ولدك بحجزهم . فترى أين يؤمر بنا ؟[1]

وأما الأحاديث الأخرى التي تدعو المسلمين الى التمسك بعلي (عليه السلام) وأهل البيت الطاهر فان استقصاءها وذكرها يحتاج الى وضع مجلد ضخم . لكننا نذكر بعضاً منها هنا ، لأجل التبرك بها من جهة ، ولاطلاع القارىء الكريم على مدى ما تحمل من أهمية ، من جهة أخرى .

١ ــ روى الجويني بسنده عن ابن عباس (رض) قال : قال رسول الله (ص) :

من سره أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن غرسها ربي ، فليوال علياً من بعدي ، وليقتد بالأئمة من بعدي ، فانهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهماً وعلماً ، ويل للمكذبين بفضلهم من أمتي ،

* قوله (ص) : اخذت بحجزة الله تعالى : كناية عن التعلق والامتناع به .
(١) أصل الشيعة واصولها ١١٠ / ١١١ .

القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي [١] •

٢ ـ وعن أنس بن مالك قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يـا أنس ، أسكب لي وضوءاً (قال :) ثم قام فصلى ركعتين ثم قال : يا أنس ، أول من يدخل عليك من هذا الباب ، أمير المؤمنين (وسيد المسلمين) وقائد الغر المحجلين ، وخـاتم الوصيين •

قال أنس : قلت : اللهم اجعله رجلا من الانصار ـ وكتمته ـ اذ جاء علي صلوات الله عليه ، فقال : من هذا يا أنس ؟ فقلت : علي • فقام (ص) مستبشراً ، فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ، ويمسح عرق وجه علي بوجهه •

فقال علي عليه السلام : يا رسول الله ، لقد رأيتك صنعت شيئا ، ما صنعت بي من قبل ؟

قال (ص) : وما يمنعني ، وأنت تؤدي عني ، وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي •

٣ ـ وعن ابي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أنا خاتم الأنبياء ، وأنت يا علي خاتم الأوصياء الى يوم الدين •

(١) فرائد السمطين / للجويني بسنده / ٥٣ .

ولفظ أبي ذر : أنا خاتم النبيين ، كذلك علي خاتم الأوصياء الى يوم الدين .

٤ ــ وعن جابر بن عبدالله (الأنصاري) قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : أنت مني بمنزلة هارون من من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي . (هذا الحديث رواه الجويني بعدة طرق ، وهو حديث مشهور وهو المسمى بحديث (المنزلة) . ورواه مسلم في صحيحه عن سعد بن ابي وقاص عن أبيه » راجع فضائل الصحابة/ ٤ ــ ١٨٧٠) .

٥ ــ وجاء في حديث طويل ، عن أبي أيوب الأنصاري :

يا عمار ، إن علياً لا يردك عن هدى ، ولا يدلك على ردى .

يا عمار ، طاعة علي طاعتي ، وطاعتي طاعة الله عز وجل .!

٦ ــ وعن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : علي بن أبي طالب حلقة معلقة بباب الجنة ، من تعلق بها دخل الجنة .

٧ ــ وعن انس بن مالك ، قال :

إن سائلا أتى المسجد وهو يقول : من يقرض المليّ الوفي ؟ وعلي ــ عليه السلام ــ راكع يقول [1] بيده خلفه للسائل خذه ، أي اخلــع الخاتم من يدي . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يــا عمر ، وجبت . قال : بأبي انت وأمي يا رسول الله ، ما وجبت ؟ قال وجبت له الجنة . والله ما خلعه من يده ، حتى خلعه من كل ذنب وخطيئة [2] .

---

(١) يقول : يشير .
(٢) فرائد السمطين ١ / ١٤٥ و ١٤٧ و ١٢٣ و ١٧٨ و ١٨٠ و ١٨٨ .

٨ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنه ، قال :

أقبل عبدالله بن سلاّم ، ومعه نفر من قومه ، ممن قد آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، إن منازلنا بعيدة ، وليس لنا مجلس ، ولا متحدث دون هذا المجلس ، وان قومنا لما رأونا آمنا بالله ورسوله ، وصدقناه ، رفضونا ، وآلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا ، ولا يناكحونا (أي لا يتزوجوْن منا ولا نتزوج منهم) ولا يكلمونا ، فشق ذلك علينا .

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « إنما وليُّكُم اللهُ ورَسُولُهُ والذين آمنوا الذين يُقيمونَ الصلاةَ ويؤتونَ الزكاةَ وهُمْ راكِعُون» (٥٥ ـ المائدة)

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المسجد ، والناس بين قائم وراكع ، فبصر بسائل .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هل أعطاك أحد شيئاً ؟

قال : نعم ، خاتم من ذهب * .

فقال النبي (ص) : من أعطاكه ؟

قال : ذلك القائم ـ وأومأ بيده الى علي بن أبي طالب ـ .

فقال النبي (ص) : على أي حال أعطاك ؟

قال : اعطاني وهو راكع !.

فكبَّر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قرأ : « ومَن يتولَّى اللهَ

* هكذا في شواهد التنزيل . ولكن في الحديث المروي عن ابن عباس : خاتم من فضة / راجع التعليقة .

وَرَسُولَهُ والذين آمنوا فانَّ حِزبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُون » (٥٥ — المائدة) .

فأنشأ حسان بن ثابت يقول :

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي · وكل بطيء في الهوى ومسارع
أيذهب مدحي والمحبين ضائعاً · وما المدح في جنب الإله بضائع
فأنت الذي اعطيت اذ كنت راكعاً · فدتك نفوس القوم يا خير راكع
فانزل فيك الله خير ولاية · وبيّنها في محكمات الشرائع [1]

وقصة التصدّق بالخاتم — هذه — من أشهر المشهورات ، وقد رواها الجويني بعدة طرق ، وبأسانيد مختلفة ، كما رواها غيره من أرباب الحديث .

ونكتفي هنا بهذا العرض لبعض الروايات في هذا المضمون ، والتي هي نزر قليل من الكثير الكثير، اذ لو أردنا استقصاء وذكر الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وآله في فضل أمير المؤمنين علي عليه السلام ، والمشتملة على النص بالولاية منه (ص) له (ع) من بعده ، وعلى إلزام المسلمين بالأخذ عن أهل البيت (ع) معالم دينهم لألزمنا ذلك بافراد كتاب مستقل ، ولأخرجنا عن الموضوع .

ومجمل القول :

فان الشيعة يعتقدون بأن الإمامة ، لا تكون إلا بالنص من الله تعالى ،

---

(١) فرائد السمطين ١/ ١٨٩/ ١٩٠ . راجع مجمع البيان وشواهد التنزيل، وذخائر العقبى . فانه اشار فيه الى هذه الآية وثماني آيات نُزلت في علي . راجع ص ٨٨ — ٨٩ — ومن احب الاستزادة في فضائل الامام ، فليراجع صحيح مسلم م ٤ ص ١٨٧٠ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ، وغيرها .

على لسان النبي ، أو على لسان الإمام الذي قبله ، وأن الإمام لا بد وأن يكون معصوماً من جميع الرذائل ، ومن السهو والخطأ والنسيان ، كما لا بد وأن يكون أفضل الناس بعد النبي (ص) .

ولا يهمنا من بحث الإمامة هنا « اثبات انهم هم الخلفاء الشرعيون ، وأهل السلطة الإلهية ، فان ذلك أمر مضى في ذمة التأريخ ، وليس في اثباته ما يعيد دورة الزمن مـن جديد أو يعيـد الحقوق المسلوبة الـى أهلها ، وانما يهمنا منه ، ما ذكرنا من لزوم الرجوع اليهم في الأخذ بأحكام الله الشرعية ، وتحصيل ما جاء به الرسول الأكرم على الوجه الصحيح الذي جاء به ، وان في أخذ الأحكام من الرواة والمجتهدين الذين لا يستقون من نمير مائهم ، ولا يستضيئون بنورهم ، ابتعاداً عـن محجة الصواب فـي الدين . »[1]

---

(١) عقائد الشيعة الامامية / ٩٩ .

أبو ذرّ وَالتّشيُّع

من هذا المنطلق الواضح ، يمكننا القول بأن التشيع ليس مذهبا طارئا على الاسلام ، أو فكرة دخيلة عليه ، بل هو من صميم الاسلام ، وأصل من أصوله . نشأ في عهد النبي الأعظم ، وبايعاز منه صلوات الله عليه . فهو الذي بذر هذه البذرة المباركة وتعاهدها بنفسه .

والمهم لدينا الآن ، هو الوصول الى ما نريده من هذه الحقيقة ، الهامة، وهو التحدث عن تشيع أبي ذر الصحابي العظيم (رض) . وغيره من الصحابة .. وما علينا في هذا الحال إلا أن نسرد بعض النصوص التأريخية المتضمنة لذلك .

قال أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني :

إن لفظ الشيعة على عهد رسول الله (ص) كان لقب أربعة من الصحابة .. سلمان الفارسي ، وابي ذر الغفاري ، والمقداد بن الاسود الكندي ، وعمار بن ياسر [1] ..

وقال الشيخ المفيد رحمه الله ، في بيان إمامة أمير المؤمنين علي (ع) .

فاختلفت الأمة في إمامته يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،

---

(1) الشيعة وفنون الاسلام / ٣١ .

فقالت شيعته ، وهم : بنو هاشم كافة ، وسلمان، وعمار، وأبو ذر [١] .. الخ.

وقال اليعقوبي ، حول الموضوع ذاته :

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ، ومالوا مع علي بن أبي طالب . منهم : العباس بن عبد المطلب ، الى ان قال : وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر [٢] .. الخ ما ذكره .

وقال الكشي عنه : وهو الهاتف بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام ، ووصي رسول الله واستخلافه إياه [٣] ..

وجاء في سيرة الأئمة الإثني عشر ، حول الموضوع ذاته :

«واحتج عليهم سلمان الفارسي ، وأبو ذر ، وعمار ، والمقداد، وغيرهم من وجوه الصحابة [٤] ..

وجاء في كتاب أصل الشيعة وأصولها ، في ذكر طبقات الشيعة :

الطبقة الأولى : وهم أعيان الصحابة ، وابرارهم ، كسلمان المحمدي — أو الفارسي — وأبي ذر ، والمقداد وعمار ، وخزيمة ذي الشهادتين ، وابن التيهان ، وحذيفة بن اليمان ، والزبير ، والفضل بن العباس ، وأخيه الحبر عبدالله ، وهاشم بن عتبة المرقال ، وابي ايوب الأنصاري ، وأبان وأخيه خالد — ابني سعيد العاص ، الأمويين — وأبي بن كعب سيد القراء . وانس بن الحرث بن نبيه ، الذي سمع النبي (ص) يقول : ان ابني الحسين (عليه

---

(١) الارشاد / ١٠ .
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٤ .
(٣) معجم رجال الحديث ١٦٨/٤ .
(٤) سيرة الائمة ٢٩٥/١ .

السلام) يقتل في أرض يقال لها : كربلاء ، فمن شهد ذلك منكم ، فلينصره. فخرج أنس ، وقتل مع الحسين عليه السلام (راجع الإصابة والاستيعاب) .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : ولو أردت أن أعد عليك الشيعة من الصحابة ، واثبات تشيعهم من كتب السنة ، لأحوجني ذلك الى إفراد كتاب ضخم [١] .

الى غير ذلك من النصوص والأخبار ، التي تصرح بتشيع أبي ذر (رض) وغيره من الصحابة لعلي (ع) وآل البيت الطاهر تشيعاً ليس عاطفياً يقتصر على حبهم فحسب ، بل تشيعاً مبدئياً ، ينادي بأحقية علي عليه السلام في الخلافة بعد رسول الله (ص) بلا فصل . استنادا الى ما سمعه هو ، وبقية الصحابة منه (ص) في ذلك ، كحديث الغدير المتقدم وأمثاله .

فقد كان أبو ذر رضي الله عنه ، ممن ثبت على هذا المبدأ ، فنافح عنه، ودافع على أكثر من جبهة ، وفي عدة مواطن ، ودعا المسلمين اليه بكل جرأة وصراحة ، حتى آخر لحظة من حياته . ففي مكة ، كان لسانه يلهج بذلك ، وفي المدينة ، كما في الشام ، وحتى في منفاه الأخير في الربذة ، لم يتوان ، ولم يتلكأ في تأدية الأمانة .

وفي مكة المكرمة ، وحول البيت العتيق ، مهوى قلوب الملايين من المسلمين ومركز تجمعهم في كل عام ، كان أبو ذر يغتنم الفرصة ، فيدعو المسلمين ، ليحدثهم بما سمع عن رسول الله (ص) في حق أهل البيت بصورة عامة ، وعلي عليه السلام بصورة خاصة .

فمن ذلك ، ما رواه الجويني بسنده ، عن عباية بن ربعي ، قال :

(١) أصل الشيعة واصولها / ٨٦ .

بينما عبد الله بن عباس ، جالس على شفير زمزم (يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، اذ أقبل رجل متعمم بعمامة .) فجعل ابن عباس لا يقول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا قال الرجل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال ابن عباس : سألتك بالله ، من أنت ؟

قال : فكشف العمامة عن وجهه ، وقال : يا أيها الناس من عرفني ، فقد عرفني ، ومن لم يعرفني ، فأنا جندب ابن جنادة البدري ، أبو ذر الغفاري، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بهاتين ، وإلا فصمّتا ، ورأيته بهاتين ، وإلا فعميتا .

يقول : علي قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله .

أما اني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً من الأيام صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد ، فلم يعطه أحد ، فرفع السائل يده الى السماء وقال : (اللهم) إشهد اني سألت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعطني أحد شيئا ، وعلي عليه السلام كان راكعا ، فأومأ بخنصره اليمنى ــ وكان يتختم فيها ــ فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته ، رفع رأسه الى السماء ، وقال :

اللهم إن أخي موسى سألك فقال : « رَبِّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعَل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدُد به ازري وأشرِكه في أمري[1] » فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً

(١) مقتبس من آية ٢٥ ـ ٣٢ / طه .

« سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخيك ونَجعل لكما سُلطاناً فلا يَصِلونَ اليكما » [١] اللهم ، وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي ، علياً أخي ، أشدد به ظهري • *

قال أبو ذر : فوالله ، ما استتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلمة ، حتى نزل عليه جبرئيل من عند الله ، فقال :

يا محمد إقرأ « إنما وليُّكُم الله ورَسولُه والذين آمنوا الذِين يقيمون الصلاةَ ويُؤتونَ الزَكاة وهُم راكِعُون • » [٢]

وروى الجويني أيضا بسنده الى الحافظ ابي بكر ، بسنده عن كديرة الهجري •

قال : إن أبا ذر أسند ظهره الى الكعبة ، فقال :

أيها الناس ، هلموا أحدثكم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم • سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي ثلاثاً • لئن يكون قال لي واحدة منهن ، أحب الي من الدنيا وما فيها •

سمعت رسول الله يقول لعلي (ع) : اللهم أعنه واستعن به ، اللهم انصره وانتصر به ، فانه عبدك وأخو رسولك [٣] •

وفي المستدرك ، عن حنش الكناني ، أنه قال :

سمعت أبا ذر يقول — وهو آخذ بباب الكعبة — : أيها الناس ، من

(١) من آية ٣٤ / القصص .
* وفي شواهد التنزيل : اشدد به ازري .
(٢) فرائد السمطين ١/١٩١/١٩٢ .
(٣) نفس المصدر ص ٦٨ .

عرفني ، فأنا من عرفتم ، ومن أنكرني ، فأنا أبو ذر ، سمعت رسول الله يقول :

ألا إن مثل أهل بيتي فيكم ، مثل سفينة نوح من قومه ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق [١] .

وفي المدينة ، عاصمة العالم الاسلامي ، ومقر الخلافة ، كان رضي الله عنه يقوم بنفس الدور ، على الرغم من المراقبة الشديدة المفروضة من قبل الأمويين ودعاتهم في ذلك الوقت .

قال اليعقوبي في تأريخه :

« وبلغ عثمان أن أباذر ، يقعد في مسجد رسول الله (ص) ويجتمع اليه الناس ، فيحدث بما فيه الطعن عليه ، وأنه وقف بباب المسجد ، فقال :

أيها الناس ، من عرفني ، فقد عرفني ، ومن لم يعرفني ، فأنا أبو ذر الغفاري ، جندب بن جنادة الربذي : إن الله إصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم ، وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم . محمد الصفوة من نوح ، فالأول من إبراهيم ، والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية من محمد . إنه شرف شريفهم واستحقوا الفضل في قوم (قومهم) هم فينا كالسماء المرفوعة ، وكالكعبة المستورة ، أو كالقبلة المنصوبة ، أو كالشمس الضاحية ، أو كالقمر الساري ، أو كالنجوم الهادية (أو كالشجرة الزيتونة) أضاء زيتها ، وبورك زبدها . ومحمد وارث علم آدم ، وما فضل به النبيون ، وعلي بن أبي طالب وصي محمد ووارث علمه.

أيتها الأمة المتحيرة ، أما لو قدمتم من قدّم الله ، وأخرتم من أخّر

(١) المستدرك /٣/١٥٠ ـ ١٥١ .

الله وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم ، لأكلتم من فوق رؤوسكم ، ومن تحت أقدامكم ، ولما عال ولي الله ، ولا طاش سهم من فرائض الله ، ولا اختلف إثنان في حكم الله ، إلا وجدتم علم ذلك عندهم، من كتاب الله وسنة نبيه ، فأما اذا فعلتم ما فعلتم ، فذوقوا وبال أمركم ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون [1] ..

وفي الشام ، كان أبو ذر يسلك نفس المسلك مع من يجتمع اليه من الناس ويحدثهم بمثل ذلك .

قال اليعقوبي: وكان يجلس في المسجد — يعني في الشام — فيقول كما كان يقول (في المدينة) ويجتمع اليه الناس ، حتى كثر من يجتمع اليه ، ويسمع منه [1] .

وحتى في **الربذة** ، منفاه الموحش المقفر، لم تصرفه آلامه وهمومه، ولا ما هو فيه من الاغتراب عن مواطن الايمان والجهاد ، والأصحاب الأخلاء . لم يصرفه ذلك ولم يشغله عن اكمال مسيرته التي بدأت خطاها في عهد النبي (ص) فظل متمسكا بمبدأه هذا ، منادياً به حين تمكنه الفرصة من ذلك ، فرصة اللقاء بمن يستمع اليه ، ويأخذ منه .

في شرح النهج ، عن أبي رافع ، قال :

أتيت أبا ذر بالربذة ، أودعه . فلما أردت الانصراف ، قال لي ، ولأناس معي : ستكون فتنة ، فاتقوا الله ، وعليكم بالشيخ : علي بن ابي طالب ، فاتبعوه .

والحق أن موقف أبي ذر من مبدأ التشيع ، كان موقفاً مثالياً يجسم لنا كل معاني الثبات والصمود ، فما كان لتلين له عريكة فيه ، ولا لتميل له

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١٧٢/٢ .

قناة ، لقد كان صلباً قوياً ، متفانياً في سبيل ذلك . وكأنه في موقفه هذا ، يفسر لنا بيعته لرسول الله (ص) :

أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأن يقول الحق ولو كان مرا .!

عن معاوية بن ثعلبة الليثي قال :

مرض أبو ذر ، فأوصى الى علي (عليه السلام) .

فقال بعض من يعوده : لو أوصيت الى أمير المؤمنين عثمان ، كان أجمل لوصيتك من علي .

قال : والله لقد أوصيت الى أمير المؤمنين ، حق أمير المؤمنين ! والله انه للربيع الذي يسكن اليه ، ولو قد فارقكم . لقد انكرتم الناس وانكرتم الأرض .

قال : قلت : يا أبا ذر ، انا لنعلم أن أحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله أحبهم اليك !

قال : أجل !

قلنا : فأيهم أحب اليك ؟

قال : هذا الشيخ المظلوم ، المضطهد حقه ! يعني علي بن أبي طالب [1] .

---

(١) اعيان الشيعة ٣٣٢/١٦ .

إقامته في بلاد الشام

حين نقرأ سيرة أبي ذر في الكتب التأريخية وغيرها ، نجد أنفسنا أمام صورة غير واضحة لهذا الصحابي العظيم ، فنجد شيئا من الغموض يكاد يكتنف حياته . ولعل مردّ ذلك يعود الى نوع من التعتيم الاعلامي ، فرض على مسار هذه الشخصية .

فمثلا : **نجد** بعض المؤرخين ، كالطبري ، وابن الأثير ، قد أهملوا التفصيل في كيفية نفي أبي ذر الى المدينة ، فالربذة ، كما أهملوا ذكر النزاع الذي جرى بينه وبين عثمان .

ونجد البعض الآخر يحاول الدفاع عن عثمان ، فيذهب الى القول : بأن أبا ذر نزل الربذة بمحض اختياره .

والبعض الآخر ، يؤكد نفي أبي ذر الى الشام أوّلا ، ثم الى المدينة ، ثم الى الربذة .

ونحن بدورنا ، نريد التثبت من الحقائق حول هذا الامر ، عن طريق الاستعانة ببعض الروايات ، والنصوص التأريخية ، والابتعاد عمّا تمليه العاطفة والحساسيات الخاصة .

والذي وجدته ــ بعد التأمل والتدقيق ــ أن أبا ذر كان قد أقام في الشام مدة طويلة ، ربما نافت على العشرة سنوات • تسنى له من خلالها نشر مذهبه في التشيع لعلي وأهل البيت عليهم السلام •

وعليّ الآن ، أن أعرض للقارىء كلمات بعض المؤرخين والباحثين ، الذين ذهبوا الى القول : بأن أبا ذر أُخرج الى الشام منفيّاً ، ليتسنى له المقارنة بينها وبين النصوص الاخرى التي تؤكد خلاف ذلك •

قال ابن ابي الحديد في شرح النهج :

« واعلم : أن الذي عليه اكثر أرباب السيرة ، وعلماء الاخبار والنقل ، أن عثمان نفى أبا ذر أوّلا الى الشام ، ثم استقدمه الى المدينة لمّا شكا منه معاوية ، ثم نفاه من المدينة الى الربذة ، لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام • » [1]

وقال السيد المرتضى رحمه الله تعالى :

« بل المعروف والظاهر ، أنه نفاه أوّلا الى الشام ، ثم استقدمه الى المدينة لما شكا منه معاوية ، ثم نفاه من المدينة الى الربذة •• » [2]

وقال السيد الامين رحمه الله :

« وما كان أبو ذر ليترك المدينة، مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومسجده ، ومجاورة قبره ، اختيارا ، ويذهب الى الشام ، فيجاور بني اميّة ، وانما خرج الى الشام منفياً • » [3]

(١) شرح النهج ٨/٢٥٥ ــ ٢٥٦ .
(٢) اعيان الشيعة ١٦ / ٢٦٣ .
(٣) نفس المصدر/٣٥٣/٣٥٤ .

الى غير ذلك من أقوال غيرهم ، التي تفيد الشهرة حول هـذا الامر ، والشهرة في هذا المقام لا تغني من الحق شيئا ، فرب مشهور لا أصل له ، سيما اذا قام الدليل على خلافه .

والآن نعرض للقارىء بعض النصوص الاخرى ، نضعها بين يديه للتأكد مما نرمي اليه ، من القول : بأن إقامة أبي ذر في الشام كانت طويلة جدا ، وكانت بادىء الامر بمحض اختياره ورغبته ، وكامل حريته ، إلا أن حريته في الذهاب الى المدينة المنورة ، ومجاورة قبر الرسول (ص) متى شاء ، أصبحت مقيدة آخر الامر بسبب ما جرى بينه وبين عثمان .

قال في الاستيعاب :

« بعد ان أسلم أبو ذر ، رجع الى بلاد قومه ، فأقام بها حتى مضت بدر ، وأحد ، والخندق ، ثم قدم على النبي (ص) المدينة ، فصحبه الى ان مات صلى الله عليه وآله .

ثم خرج بعد وفاة أبي بكر الى الشام ، فلم يزل بها حتى ولي عثمان ، ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية ، فنفاه وأسكنه الربذة ، فمات بها .. » [1]

وهنا ، يحق لنا التساؤل :

ما هو المبرر لرفض هذه الرواية . ؟ مع أن هنالك الشواهد الكثيرة على صحة مضمونها !؟

إن رفض هذه الرواية ، لا مبرر له ، فأي مانع من أن يكون أبو ذر، قد أقام في الشام بمحض اختياره ، إن لم نقل بأنه كان يتعرض لمضايقات معينة

---

(١) الاستيعاب (حاشية على كتاب الاصابة) م ١ ص ٢١٣ .

ـ نظرا لجرأته وصراحته ـ دفعت به الى الاقامة فيها أثناء خلافة عمر بن الخطاب •

إن من يتتبع سيرة أبي ذر ، يجد أن هذه الشخصية الفريدة ، يكتنف مسارها الغموض والتعتيم من الفترة ما بين خلافة عمر الى خلافة عثمان ، فلا حديث ، ولا رواية ، ولا أي شيء يتعلق به في تلك الفترة ،! مع كونه من المبرزين الأول في الاسلام ، دينا ، وفضلا ، وعلما ، فهو لم يكن مسلما عاديا يقرن بعامة المسلمين ، بل كان من خيرة خيرتهم ، ممن نوّه رسول الله (ص) بفضلهم ، وممن حازوا قصب السبق في مجالي الدين والعلم ، ويكفي قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه : « ما تقل الغبراء ، ولا تظل الخضراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر ، شبيه عيسى بن مريم • » [١]

وحديث علي عليه السلام فيه : « وعاء ملىء علما ، ثم أوكأ عليه • » [٢]

إن التعتيم الاعلامي على مسار أبي ذر (رض) في تلك الفترة ، ربما لم يكن مقصودا ، ولكنه يؤكد تأكيدا كاملا على أنه كان بعيدا عن مركز الخلافة ، أعني : المدينة المنورة ـ عاصمة العالم الاسلامي ـ آنذاك •

كما أنه لم يكن في تلك الفترة في موطنه الاصلي ، أعني منازل قومه بني غفار ، لأن النصوص لا تشير الى ذلك البتة •

اذن : أين كان أبو ذر في تلك الفترة ؟•

الشواهد التأريخية كلها ساكتة عن وجوده في أي بلد ، ما عدا الشام•

---

(١) المستدرك مع التلخيص م٣ / ٣٤٢ •

(٢) الغدير ٨/٣١١ نقلا عن أسد الغابة ٥/١٨٦ وشرح الجامع الصغير ٥/ ٤٢٣ وفي الاصابة /٤ ص ٦٤ •

* الوكاء ـ ما يشد به الكيس ، والمقصود هنا ربما يكون هو ان علم أبي ذر مما لا يطيقه الناس ولا تتحمله عقولهم فلذلك أخفاه عنهم •

نعم : كان أبو ذر رضي الله عنه في تلك الفترة ، قد اتخذ الشام وجوارها مقرا له ، وقد كان يقوم بدوره الرسالي فيها على أكمل وجه . هذا ما يستفاد من بقية النصوص والروايات في هذا الصدد .

جاء في رواية البلاذري :

« وقال عثمان يوما : أيجوز للامام أن يأخذ من المال ؟ فاذا أيسر قضى ؟

فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك .

فقال أبو ذر : يابن اليهوديين ، أتعلمنا ديننا !؟

فقال عثمان : ما أكثر أذاك لي ، وأولعك بأصحابي !؟ إلحق بمكتبك ! وكان مكتبه بالشام ، إلا أنه كان يقدم حاجا ، ويسأل عثمان الإذن له في مجاورة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيأذن له في ذلك .. » [1]

وكلمة « مكتب » هنا ، تعني : مركز تجمع كتائب الجيش الاسلامي ، والرواية صريحة في كون إقامته بالشام لم تكن قسرا .

ويؤيدها ، ما جاء في تأريخ ابن الأثير ، قال في حوادث سنة ٢٣ :

« وفيها غزا معاوية الصائفة (الروم) ومعه عبّادة بن الصامت ، وأبو أيوب الأنصاري ، وأبو ذر .. »

وقال في حوادث سنة ٢٨ :

« كان فتح قبرس على يد معاوية .. الى أن قال : ولما غزا معاوية هذه السنة ، غزا معه جماعة من الصحابة ، فيهم أبو ذر .. » [2] الخ.

---

(١) الغدير ٢٩٣/٨ نقلا عن الانساب ٥٤/٥٢/٥ .
(٢) الكامل ٧٧/٣ و ٩٥ .

وجاء في كلام ابن بطال :

« وكان في جيشه ــ يعني معاوية ــ ميل الى أبي ذر ، فأقدمه عثمان خشية الفتنة . » [١]

وجاء في رواية الواقدي :

« إن أبا الأسود الدؤلي قال : كنت أحب لقاء أبي ذر ، لأسأله عن سبب خروجه الى الربذة ، فجئته ، فقلت له :

ألا تخبرني ، أخرجت من المدينة طائعا ؟ أم أخرجت كرها ؟

فقال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين ، أغني عنهم ، فأخرجت الى المدينة ، فقلت دار هجرتي وأصحابي ، فأُخرجت من المدينة الى ما ترى ! » [٢]

والثغر الذي عناه ، هو بلاد الشام بالطبع . ويلاحظ هنا ، أنه لم يقل أُخرجت الى ثغر من ثغور المسلمين ، أو اخرجت الى الشام . بينما قال : أخرجت الى المدينة ، ثم قال : فأخرجت الى ما ترى ــ يعني الربذة ــ مما يدل على أنه كان مختارا ، أو مرتاحا ــ على الأقل ــ في اقامته بالشام .

وجاء في رواية ثانية للواقدي :

« فقال عثمان : أخرج عنا من بلادنا !

فقال أبو ذر : ما أبغض الي جوارك ، فالى أين أخرج ؟

قال : حيث شئت !

قال : أخرج الى الشام ، أرض الجهاد ؟!

---

(١) الغدير ٨ / ٣٢٥ عن عمدة القارىء للعيني ٤ / ٢٩١ .

(٢) شرح النهج ٣٦٠/٨٠ .

قال : انما جلبتك من الشام ، لما قد أفسدتها ، أفأردك اليها !؟ » [١]

إن هذه الروايات ، تعطينا الدليل الكافي ، بل القاطع ، على أن اقامة أبي ذر في الشام لم تكن جبرية ، ولم يكن مكرها فيها ، كما لم تكن قصيرة تقاس بالأشهر .

ولا يعني هذا، أنه فيخلال اقامته تلك، كان قد انقطع عن زيارة مدينة الرسول (ص) فمما لا شك فيه أن مثل أبي ذر لا يفوته الحج الى بيت الله الحرام في كل عام، كما لا تفوته زيارة قبر الرسول(ص) ومجاورته، ومن ثمّ اللقاء بالصحابة ، وزيارة دار الخلافة ، والنظر في شئون المسلمين .

من هنا ، يمكننا الركون ــ بكل بساطة ــ الى القول بأن ما جرى بينه وبين عثمان بادىء الامر ، من النقاشات الكلامية الحادة ، لم يكن سببا في نفيه الى الشام ــ كما يتصور ــ بل كان في أغلب الاحيان ، سببا في تعجيل رجوعه الى الشام ، وتقييدا لحريته في الاقامة بالمدينة متى شاء ، وكيف أراد .

وبهذا يتضح وهن الرأي القائل بأن عثمان نفاه الى الشام ، هذا الرأي الذي يهدف ــ غالبا ــ الى إضفاء صبغة مأساوية ، تضاف الى مأساة أبي ذر الحقيقية ، وهي نفيه (الى المدينة ، ومن ثم الى الربذة) .

بعد هذا العرض ، ننتقل الى حقيقة تأريخية هامة ، تتصل بسيرة هذا الصحابي العظيم ، ومكوثه في بلاد الشام هذه المدة الطويلة ، وقيامه بدوره الرسالي على أكمل وجه . تلك هي : صلته بنشأة التشيع في جبل عامل ، وهذا ما سنعرضه في الفصل التالي :

---

(١) المصدر السابق .

أبو ذرّ وَالتّشيُّع في جَبل عَامِل

وقبل الدخول في الموضوع ، لا بد لنا من الوقوف على موقع (جبل عامل) الجغرافي من بلاد الشام ، تأريخيا ، لكي تتثبت من إقامة ابي ذر فيه، وتتجلي لنا حقيقة الامر في ذلك .

حدود الشام :

قال ياقوت في معجم البلدان : وأما حدها ـ يعني الشام ـ فمن الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية .

وأما عرضها : فمن جبلي طيىء من نحو القبلة ، الى بحر الروم ، وما بشأمة ذلك من البلاد . وبها من أمهات المدن : منبج ، وحلب ، وحماة ، وحمص ، ودمشق ، والبيت المقدس ، والمعرة . وفي الساحل : إنطاكية ، وطرابلس ، وعكا ، وصور ، وعسقلان ، وغير ذلك .. الخ .[١]

هذه هي سعة الشام وسعة حدودها ـ في ذلك الوقت ـ ويتضح من ذلك ، ان منطقة جبل عامل داخلة في ضمنها ، لأن منها صور .

وقال في متن اللغة . مادة : ع م ل .

بنو عاملة ، حي يمان من ولد الحرث بن عدي ؛ ينتهي الى كهلان بن سبأ ، نسبوا الى أمهم عاملة بنت مالك القضاعية . وجبلهم بالشام ، فوق

---

(١) معجم البلدان ٣١٢/٣ مادة : شام .

صور وصيدا ، يعرف بهم . واشتهر باسم : جبل عامل [١] .

المهم : أن الشام لم تكن اسما لخصوص دمشق (العاصمة) ، بل كان لفظ الشام يطلق على المنطقة المشار اليها آنفا بأجمعها ، بما فيها جبل عامل .

وقد أشرنا سابقا الى أن أبا ذر (رض) أقام في الشام بعد وفاة أبي بكر ـ كما يظهر من رواية الاستيعاب ـ حتى شكاه معاوية الى عثمان ، فأخرجه الى المدينة ، ثم نفاه الى الربذة . وأن الروايات الاخرى التي تشير الى اخراجه من المدينة الى الشام ، لا تعني اخراجه اليها منفيا ، بل كل ما هنالك أن عثمان كان يأمره بالتعجيل في الخروج الى الشام ، كما في قوله له : « الحق بمكتبك » . راجع ص ٦٧ .

ثم ان اقامة أبي ذر فيها ، لا تعني في خصوص دمشق ـ كما يتوهم ـ بل في المنطقة عامة ، يؤيد ذلك قول أبي ذر مخاطبا عليا عليه السلام حين كان في وداعه : « اني ثقلت على عثمان بالحجاز ، كما ثقلت على معاوية بالشام .! » [٢]

فكما أن كلمة « الحجاز » تشمل كل مدن الحجاز بما فيها المدينة ، كذلك كلمة « الشام » تشمل كل مدن الشام ، بما فيها دمشق ، وبما فيها « جبل عامل » .

ومن الواضح : أنه (رض) ، كان في هذه المنطقة ، تحت قبضة معاوية وسلطانه . فصح أن يقال : كان عند معاوية .

---

(١) متن اللغة ٤ / مادة : عمل / ٢٠٩ .
(٢) شرح النهج ٨ / ٢٥٤ .

تحديد مدة اقامته في الشام

النصوص التأريخية ، لا تحدد مقدار إقامته فيها . إلا ما ورد عن كميل بن زياد رحمه الله ، قال : « كنت بالمدينة حين أمر عثمان أبا ذر باللحاق بالشام ، وكنت بها في العام المقبل حين سيّره الى الربذة . »[1]

هذه الرواية فقط — اذا صحت — تشير الى ان اقامته فيها استغرقت سنة . أما ما عداها ، فلا يستند إلا الى التخمين والاستنتاجات الخاصة . ومع ذلك ، فان رواية كميل هذه لا يستفاد منها مجموع إقامته في الشام ، بل يستفاد منها : أن المدة ما بين أمر عثمان أبا ذر باللحاق بالشام ، وبين نفيه الى الربذة ، استغرقت سنة .

وعلى هذا ، فلا تنافي بين رواية (الاستيعاب) المتقدمة وهذه الرواية.

وبوسعنا القول الآن : أن اقامة ابي ذر في بلاد الشام ، في مدنها وقراها ، كانت طويلة جدا ، ربما استغرقت أربعة عشر سنة . وأهم الشواهد على ذلك ، ما يلي :

اولا : رواية الاستيعاب المتقدمة (ص ٦٥) وهي صريحة فيما نرمي اليه ، حيث يقول فيها : « ثم خرج بعد وفاة ابي بكر الى الشام ، فلم يزل بها حتى ولي عثمان ، ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية .. »

والمعروف أن وفاة أبي بكر كانت في سنة ١٣ هـ . وفي هذه السنة ولي عمر بن الخطاب ، حتى توفي سنة ٢٣هـ ، وفيها بويع عثمان بن عفان [2] ، الى سنة ٣٥ هـ (على التقريب) وقد نفى عثمان أبا ذر من الشام الى المدينة ، فالربذة ، في سنة ٣٠ — على ما ذكره ابن الأثير — [3] .

---

(١) الغدير ٨ / ٢٠٤ .
(٢) مروج الذهب ٢/٢٩٧/٣٠٤ .
(٣) الكامل ٣/١١٣ .

فعلى هذا تكون الفترة ما بين خروج أبي ذر الى الشام ونفيه الى المدينة سبعة عشر سنة ، على رواية الاستيعاب !

ثانيا : النصوص التي تتحدث عما أوجده أبو ذر — في اقامته تلك — من تغيير في ذهنية المجتمع الشامي ، وصرفه الناس اليه ، وأخذهم منه الحكم والفتيا واجتماعهم من حوله ، من جهة ، وميل المعسكر الذي كان فيه ، اليه من جهة أخرى ، الى حدّ حرك في نفس معاوية الخوف من عواقب ذلك ، فكتب الى عثمان يحمله اليه ، واليك بعض هذه النصوص :

ا — قول حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية : « إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام ، فتدارك أهله ، إن كان لك فيه حاجة ..[1]

ب — كتب معاوية الى عثمان : « إن أبا ذر تجتمع اليه الجموع ، ولا آمن أن يفسدهم عليك ، فان كانت لك في القوم حاجة ، فاحمله اليك ..»[2]

ج — وكتب اليه : « إن أبا ذر قد حرف قلوب أهل الشام ، وبغضك اليهم فلا يستفتون غيره ! ولا يقضي بينهم إلا هو .» [3]

د — « قول عثمان لأبي ذر حين طلب الرجوع الى الشام : « انما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها ! أفأردّك اليها ؟! [4]

ويؤيد ذلك ، كلام ابن بطال المتقدم : « كان في جيش معاوية ميل الى أبي ذر ، فأقدمه عثمان خشية الفتنة » .

---

(١) شرح النهج ٨/٢٥٧ .
(٢) مروج الذهب ٢/٣٤٠ .
(٣) رجال بحر العلوم ٢/١٥٢ .
(٤) شرح النهج ٨/٢٦٠ .

إن هذه النصوص ، تزودنا بالكثير حول (اقامته الطويلة فـي بـلاد الشام) • فقد كانت اقامته هذه تقض" مضاجع الحكام آنذاك ، فقد استطاع هذا الصحابي الجليل ، أن يستقطب الاكثرية من الناس ، يعضهم ويرشدهم ، ويذكرهم بأيام الله • وينوه" بمقام أهل البيت عليهـم السلام ، ومكانتهم وفضلهم ، وما ورد فيهم على لسان رسول الله (ص) الى غير ذلك مما جلب على معاوية المتاعب ، فكتب فيه الى عثمان •

وهنا سؤال يفرض نفسه :

أترى ، كان باستطاعته أن يقوم بهذه الادوار الخطيرة ، خلال أشهر أو سنة !؟ كما يدعي أكثر الكتّاب والمؤرخين •

فهل أن تغيير ذهنية مجتمع بكامله ، كان يتعاطف مع الامويين ، ولـم بعرف غيرهم، وتزويده بذهنية جديدة ذات طابع معيّن، من السهولة بمكان؟؟ كما ربما يتصور البعض •

إن تصور هذا من البعد بمكان •

فان عملية إفساد المجتمع الشامي على معاوية ومن ولاه" ، لا بد وأنها استغرقت سنين عديدة ، لأن تغيـير المرتكزات الذهنية السائدة لـدى أي مجتمع كان ، لا يمكن أن يتم في خلال أشهر معدودة •

من هنا ، وممـا ذكرنا آنفا ، يسهـل علينـا الوصول الـى الحقيقة التاريخية الهامة التي أغفلها المؤرخون القدماء ، وتكتم فيها كثيرون •

أغفلها المؤرخون، إما إستخفافا بأهلها، أو فرقا من الحكام الذين كانوا في زمانهم •

وتكتم فيها كثيرون ، خوفا على دمائهم وأموالهم •

هذه الحقيقة ، هي صلة التشيع في (جبل عامل) بأبي ذر (رض). فان مما توارثه أهل هذا الجبل عن الاباء والاجداد ، أن تشيعهم لمذهب أهل البيت عليهم السلام كان على يد هذا الصحابي الجليل ، عندما كان مقيما في بلاد الشام .

وهنا يجدر بنا أن نستعرض كلمات بعض كبار الباحثين حول هذا الموضوع .

قال السيد الامين في أعيان الشيعة : « ومن المشهور أن تشيع جبل عامل كان على يد أبي ذر ، وأنه لما نفي الى الشام ، وكان يقول في دمشق ما يقول ، أخرجه معاوية الى قرى الشام ، فجعل ينشر فيها فضائل أهل البيت (ع) فتشيع أهل تلك الجبال على يده . فلما علم معاوية ، أعاده الى دمشق ، ثم نفي الى المدينة .. »

ثم قال : وهذا ، وان لم يرد به خبر مسند ، لكنه قريب غير مستبعد [1] .

وذكر الشيخ الوالد مد ظله في كتابه (جبل عامل في التأريخ)، كلمات لبعض كبار الباحثين حول هذا الموضوع ، وبدوري أقتطف بعضا من كلماتهم .

قال الاستاذ الشيخ أحمد رضا : « إن التشيع في بلاد الشام هو أقدم منه في كل البلاد ، غير الحجاز . وهذا من العجيب ، أن يقوم أول ركن ، وتنتشر أول دعوة للشيعة في بلاد محكومة لأعدى الناس لهم .

ثم استطرد في كلامه عن أبي ذر ، ونشره مذهب التشيع في بلاد الشام فقال : ثم كان يخرج الى الساحل ، فكان له مقام في قرية الصرفند

---

(١) اعيان الشيعة ٣٥٨/١٦ .

القريبة من صيدا ، ومقام آخر في قرية ميس ، المشرفة علـى غور الاردن ، وكلتاهما من قرى جبل عامل ، والمقامان الـى الآن معروفان ، الـى آخر ما قال ٠

ولقد عقبه الامير شكيب ارسلان ، فقال :

أما كون التشيع في جبل عامل هو أقدم منـه في العجم (ايران) بل في كل قطر حاشا الحجاز ، فمـن الحقائق التي لا خلاف فيها ، ثـم استطرد عارضا ظهور التشيع في ايران ، ثم ذكر انه في العرب وبلاد الشام لـم يكن ظاهرا ، وأن الشيعة كانت تستمسك بحبال التقية خوفا على أنفسهم ، ولذا تجد المؤرخين يتجانفون عن نسبة علماء الشيعة الى التشيع ٠٠ ثم ذكر حادثة جرت بين الشيخ البهائي وبعض علماء السنة في الشام ـ راجع

وقد ذكر الاستاذ الشيخ سليمان ظاهر ما يقرب مـن كلام صاحبيه ، قائلا : إن قدم التشيع في هذا القطر ، (يعني جبل عامل) يمتد الـى خلافة عثمان (رض) والى عهد نفي أبي ذر ٠

ثم عقب سماحة الشيخ مدظله ، فقال :

هؤلاء أعلام ثلاثة من ثقات أهل الاستقراء والتدقيق ، يشهدون شهادة جازمة بقدم التشيع في بلاد عاملة ، وأنه من عهد نفي أبي ذر الغفاري ، كما يشهدون بسبق تشيع الحجاز ٠

ثم ذكر كلمة الحر العاملي (قدس سره) وهو من أعظم الثقات ومـن أجلاء أهل زمانه وهو أقدم من هؤلاء جميعا ٠

كان يقول : إن تشيعهم (يعني العامليين) أقدم تشيع ٠ فقد روي انه لما مات رسول الله (ص) لم يكن مـن شيعة علي (ع) إلا أربعة مخلصون : سلمان ، وأبو ذر ، والمقداد ، وعمّار ٠ ثـم تبعهم جماعة قليلون إثناعشر ،

وكانوا يزيدون ويكثرون بالتدريج حتى بلغوا ألفا وأكثر • ثـم فـي زمن عثمان ، لما أخرج أبا ذر الـى الشام ، بقـي أياما ، فتشيع جماعة كثيرة ، ثم أخرجه معاوية الى القرى ، فوقع في جبل عامل ، فتشيعوا من ذلك اليوم [١] الى آخر ما ذكره •

بعد هذا العرض ، يتضح لنا أن هذا المضمون ، واحد متفق عليه ، لا مكان للغموض فيه • ولكن يمكننا النقاش في عملية الطرح لهذا المضمون ، فنقول :

مما لا شك فيه ، أن أبا ذر (رض) هو أول من بذر هذه البذرة الطيبة في جبل عامل (قرى الشام) بفضل إقامته فيها • ولكن إقامته الطويلة الأمد التي استغرقت من عمره سنوات ، والتي كان مرتاحا فيها ــ علـى الاقل ــ بادىء الامر ، كما قدمنا ، لا منفيا • **هذا أولا** •

وثانيا : انه أقام أولا في قرى الشام خلال هذه المدة الطويلة • بدليل قوله « كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغني عنهم •• » راجع ص ٦٨ • والثغر لا يعني قلب العاصمة ، بل على العكس ، يعني حدود المنطقة التـي يمكن للعدو أن ينفذ منها • ثم بعد ذلك ــ يمكننا القول ــ بأن معاوية حين خشي منـه أن يفسد الناس عليه ، جلبه الـى الشام ليكون تحت رقابته ، ورقابة جلاوزته • فلما رأى انه لا يكف عن ذلك ، كتب فيه الى عثمان •

اما القول بأن معاوية ، نفاه الى قرى الشام أولا ، ثم جلبه اليه ، فبعيد جدا ، ولا يتلائم مع دهاء معاوية وحذره • إذ كيف يعقل أن ينفيه معاوية من الشام بسبب اثارته الناس عليه ، وهو فيها تحت قبضته وسلطانه ، الى قرى

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٤٩/١ الى ٥٤ .

الشام ، النائية عن العاصمة ، والتي يجد فيها أبـو ذر حرية أكبر ـ بطبيعة الحال ـ ومجالا أوسع لنشر أفكاره ، بعيدا عن الرقباء والجلاوزة ؟؟

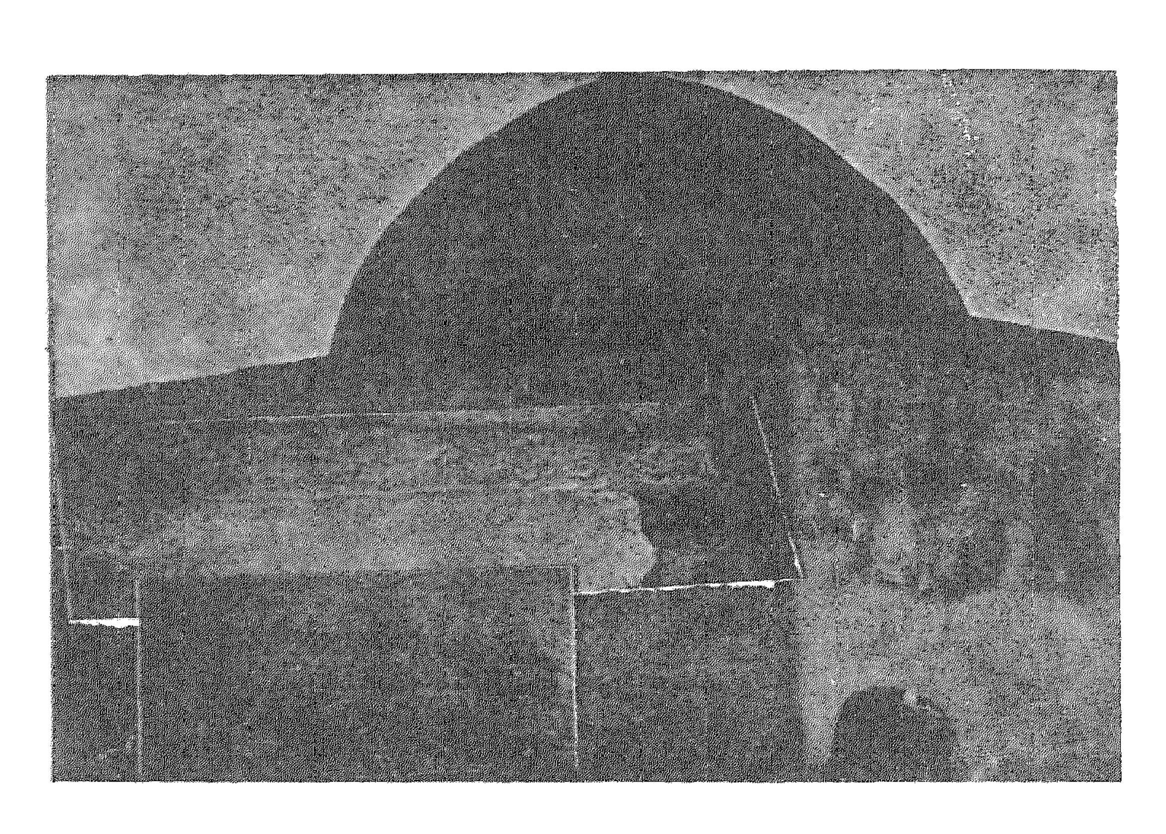
ومجمل القول :

فان نسبة التشيع في جبل عامل لأبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) مما توارثه أبناء هذه المنطقة ، أباً عن جد ، وحبهم لآل البيت (ع) ، واعتناقهم مذهبهم ، هما الصفة المميزة لأهل هذا الجبل . وعلى مر العصور والاعوام ، وجدنا جبل عامل ، منبتاً لفحول علماء المسلمين من أتباع مذهب أهل البيت، عليهم السلام ، وستبقى هـذه السلسلة الذهبية ، مستمرة لامعة فـي دنيا الاسلام ، مهما حاول المغرضون ، بترها .

وسيبقى طهر أبي ذر (رضي الله عنه) وشفافية نفسه الزكية ، يطيفان على أهل هذا الجبل ، بركة وخيرا ، وايمانا مستمدا مـن رسول الله (ص) وأهل بيته الميامين .

رحم الله أبا ذر حامل مشعل الهداية والكرامة .

رحم الله تلك الروح الزاكية التي تشبعت بحب النبي وآل النبي، حتى فاضت ، وفاضت ، فشملت أهل هذا الجبل (جبل عامل) بالبركات .



مقام ابي ذر الغفاري في بلدة الصرفند
بين مدينتي صيدا وصور كما هو في حالته الحاضرة

الفصل الثاني

- بين أبي ذرّ وعثمان
- حلم الأمويّين
- الإمامة
- في السّقيفة
- إثارة الفتن
- رقابة المسلمين
- فقدان الهيبة في خلافة عثمان
- سياسة عثمان في إختيار الولاة
- سياسته في المال
- معارضة أبي ذرّ
- موقف أبي ذرّ من معاوية
- وداع أهل الشّام له

يا أبا ذر ! انك غَضِبتَ لله ، فارجُ مَن غَضِبتَ له ، إنَّ القومَ خافوكَ على دُنياهم ، وخِفتهم على دِينك ، فاترُكْ في أيدِيهم ما خافوكَ عليه ، واهرب مِنهم بما خفتهم عليه ! فما أحوَجَهُم الى مـا منعتهم ، وما أغناكَ عمّا منعوك .

الإمام علي (عليه السلام)

حُلمُ الأمويّين

حَلُم الأمويون طويلا ، بالحكم والرياسة والمجد ، قبل البعثة النبوية المباركة ، لأن المسألة ــ بنظرهم ــ لا تعــدو المفاخرة بالإيلام ، والإطعام ، ونحر الجُزر ، على مرأى مــن الحَكَم الذي يختارونه للبتّ فيما بينهم، والحكم إمّا لهم ، وإمّا عليهم .

لكن هذا الحلم الطويل ، بترته البعثة النبوية المباركة ، فعــاد سراباً بِقيعة .

يظهر ذلك ، من خلال ما قاله بعض قادتهم وزعمائهم . قال :

« تنازعنا نحن وبنو عبــد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، حتى اذا تحاذينا على الرُكب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثــل هذا ؟ واللات لا نؤمن بــه ولا نصدقه . » [١]

لقد كانت نبــوة محمد (ص) مفاجأة رهيبة بالنسبة للفكــر العربي المتخلف ــ آنذاك ــ كما كانت ضربة قاصمة في صميم العصبية الجاهلية ، لذلك ، رأينا قريشا ، وقد تألبت وأجمعت على حرب النبي (ص) ومكافحة رسالته ، وان الأمويين ــ أبناء العم ــ هم الذين اضطلعوا بذلك ، فكانوا

(١) حياة الامام الحسن ٢١/١ .

على رأس الحملات المضادة للنبي (ص) ولرسالته السمحاء • سيمّا وأنهم يعتبرون أنفسهم غرماء مجد للهاشميين •

وأظهر الله نبيه (ص) علـى قريش وكافة مـن ناهضه من المشركين ، فانتصر المسلمون انتصارات متتالية ، انتصر فيها الحق على الباطل ، والخير على الشر، وأخذ الاسلام يشق طريقه نحو القمة ، ويأخذ مكانه في النفوس، بروحيته السمحة ، ومبادئه العالية ••

ولا غرو في ذلك ، ولا عجب • فقد استصفى الله الانسان مـن دون سائر مخلوقاته ، واستصفى للانسان دين الاسلام ، فقال تعالى :

« إنَّ الدِّينَ عِندَ الله الإسلامُ ومَن يَبتَغِ غَيرَ الإسـلامِ دِيناً فلَن يُقبَلَ مِنهُ وهوَ في الآخرةِ مِن الخاسرين • »

لقد أرسى النبي الكريم (ص) قواعد الرسالة الكريمة، وأحكم دعائمها ووطد أركانها وأعاد للانسانية شرفها وكيانها ، بعـد أن كانت ضحية أهواء الجبابرة وأرباب السلطان ، من شذاذ الآفاق الذين لا همَّ لهـم إلا إشباع رغباتهم ونزواتهم على حساب الضعفاء من عامة الناس •

والتحق صلى الله عليه وآله بربه راضيا مرضيا ، وظل حُلمُ الامويين محالا في قاموس الاسلام ، ولكن ما ان مضت فترة من الزمن وجيزة ، حتى عاد هذا الحلم يراود أهله من جديد ، فقد بدأ يتمطى عن رقدة طويلة ، عادت بعدها آمالهم خضراء مورقة • فها هي إمارات « ملك بني أمية » تلوح من قريب ، بعد ان كانت بعيدة عن دنيا الاسلام •

إنه «الملك» في مفهوم بني أمية و «الخلافة» في مفهوم الاسلام • وما أبعد ما بينهما • إنه كالبعد بـين الحق ، والباطل ، خطـان متوازيان ، ذاك يدعو الى الجنة ، وهذا يجر الى النار ، وذاك ينصر المظلوم ــ فـي الله ــ

وهذا يقرّ الظالم ، وذاك يطارد المفسدين والقتلة ، وهذا يقتل أولاد الأنبياء ، ويمثّل بالأبرار ، ويطارد المؤمنين •

ويأتي السؤال هنا : كيف تسنى لهذه الفئة التي جهدت في حرب الرسول والرسالة ، أن تخلف رسول الله (ص) في مقعده ، وأن تتسلط على مقدرات الامة الاسلامية ، زهاء ثمانين سنة ؟!

كيف تسنى لهم استغلال نبوة محمد (ص) للاستيلاء على العالم الاسلامي ، وبسط نفوذهم فيه ، وتحويل الخلافة بالتالي الى ملك عضوض يتوارثه الأبناء ؟ ومن المسؤول عن ذلك ؟

وسواء تجاهلنا الامر ، أو تجاهله غيرنا ، فان ذلك لا يترك لنا مندوحة للتهرب من إدراكنا للظروف الصعبة التي عاشها المسلمون السابقون في فترات مختلفة ، أو التهرب من الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون اليوم بشكل عام ، والذي حدث نتيجة للانحراف القديم •

إن هذا السؤال يفرض نفسه ، ويتطلب منا جوابا واضحا لا إلتواء فيه ، ولا مواربة •

ويجدر بنا ــ ونحن نتلمس الإجابة عن هذا السؤال ــ أن نتناول بعض النصوص التأريخية وننظر فيها نظرة تمحيص وتحليل ، نسلط خلالها الأضواء الكاشفة على خفاياها ــ إن كانت غامضة ــ ونتأملها طويلا ، فهي تحكي وتجلو لنا حقبة تأريخية معينة ، عاشها المسلمون وتفاعلوا معها ، وأوصلتهم بالتالي الى ما وصلوا اليه من تفكك وانهيار ، أفقدهم شخصيتهم المميزة عبر التأريخ •

نتأمل تلك النصوص ــ بموضوعية وعمق ــ كي نصل الى نقطة الارتكاز الرابطة بين ما عاناه المسلمون في السابق ، وما يعانونه اليوم ، وبين الاسباب الحقيقية لذلك ، محاولين قدر الإمكان أن نبتعد بضمائرنا

وتفكيرنا ، عن كل الحساسيات ، والتشنجات النفسية ، لنوفر للعقل وحده فرصة الانتصار •

والذي يبدو جليا واضحا ، أن المسلمين الأوائل يتحملون شطرا من المسؤولية حول هذا الامر • لكن من المتيقن ان القيادة بدورها تتحمل الشطر الاكبر من تلك المسؤولية ، اذ إنها كانت محط الثقة الكاملة لدى المسلمين ، ومعقد آمالهم ، فكانوا يرون في الخلافة مصدرا يمدهم بالقوة والثقة اذا ضعفوا أو وهنوا ، ومصدرا تنبعث منه كل الطاقات التي تمكنهم من الثبات والاستمرار ، ويضمن لهم السلامة والرقي ، لذلك ، فانهم كانوا يتركون للخليفة كلمة الفصل في أحرج الظروف ، ويشاركهم هو في ذلك ، ومن ثَمّ يضحّون بكل شيء في سبيل انجاح مقرراته طائعين غير مكرهين، حفاظا على الاسلام •

وهذه الرؤية ــ بالذات ــ نجدها قد تبددت في عهد عثمان ، لما لمسه المسلمون من انحراف واضح في مسلكه ، سواء في ذلك مسلكه السياسي مع كبار الصحابة كأبي ذر الغفاري ، وعبدالله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، والأشتر النخعي وأصحابه •

أو مسلكه المالي ، في اغداقه على المقربين من ذوي رحمه ، وحرمانه الآخرين من أعطياتهم المفروضة •

فنفى أبا ذر الى « الربذة » حتى مات فيها غريبا •

وسيَّر عبد الرحمن بن حنبل صاحب رسول الله ، الى القموس من خيبر • وهمّ بتسيير عمار بن ياسر ، فحال علي (ع) وبنو مخزوم دون ذلك•

وأمر بعبدالله بن مسعود ، فجُرّ برجله ، حتى كسر له ضلعان ، ووطيء جوفه ، حتى صار لا يعقل صلاة الظهر ، ولا العصر ، ومنعه عطائه

ــ على حد تعبير ابن مسعود [1] ــ حتى مات •

وسيَّر جماعة من صلحاء الكوفة ، من بينهم مالك ابن الأشتر النخعي وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد، وعدي بن حاتم ؛ لكلام جرى بينهم وبين عامله على الكوفة سعيد بن العاص ، فسيَّرهم أولا الى الشام ، ثم بعد ذلك أعادهم ، ثم سيَّرهم الى حمص وكان العامل فيها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكان هذا الاخير يغلظ لهم ، فكان من جملة ما يقول لهم : لا أهلا بكم ولا سهلا •• جزى الله عبد الرحمن إن لم يؤذكم [2] •• الى غير ذلك •

لقد كانت هذه الفترة ، من أشد الفترات حساسية في الاسلام • فمنها كانت بداية الشر ، فقد كـــان المسلمون قبلها يلجأون فـــي مخاصماتهم الى الخليفة نفسه للنظر فيها والاستماع الى رأيه العادل فـــي ذلك ، أو ــ على الاقل ــ كـــان يستمع منهم ويأخذ بآرائهم • أما ، وقـــد اختلت القاعدة ، وانعكست الموازين ، حيث أصبح الخليفة طرفا في الخصومة ، أو منحازا الى فئة معينة ، فانه لم يعد بالامكان ضبط الامور ، ولم تعد مخاصماتهم لتقتصر على الملاسنة والحجاج ، بل تعدتها الى استعمال القوة ، واللجوء الى القتل والفتك •

هذه الفترة الصعبة ، بدأت مواسمها تمرع فـــي السنة السادسة من خلافة عثمان ، فكان مقتله بداية الحصاد ، ثم استمر وطال أعواما وقرونا ، خلـَّف فيما بعد الجسم الاسلامي ، جسما هزيلا مفككا ، بعد ان كان صلبا قويا لا تعادله قوة •

ومن هذه الفترة ، تولدت الفترات المظلمة في تأريخ الاسلام ، والتي

(١) اليعقوبي ٢/١٧٠ و ١٧٣ .
(٢) الغدير : ٩ / من ٣٠ الى ٤٦ .

وصف بعضها عمر بن عبد العزيز بقوله : « الوليد في الشام ، والحجاج في العراق ، ومحمد بن يوسف في اليمن ، وعثمان بن حيان في الحجاز ، وقرة بن شريك فــي مصر ، ويزيد بن مسلم فــي المغرب ، إمتلأت الارض والله جورا ١٠ »

وعلينا الآن ــ لكي نقف علــى حقائق تلــك الفترة ــ أن نستعرض النصوص الكافية التي تعطينا صورة واضحة عن مواقف عثمان وسياسته . وقبل أن نتحدث عن ذلك ، يجدر بنا أن نمــر مرورا سريعا بالظروف التي مهدت لعثمان ، والتي كانت سببا فــي تسلط الأمويين ، والتي بدأت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الإمـامـة

ورَبُّك يَخلُقُ ما يَشاءُ وَيَختَارُ ما كان لهُمُ الخَيرة »
٢٨ — ٠٦٨

من غير الوارد — بالمفهوم العقلي — أن تترك أمة دون قيادة، ولا رعاية، لأن ذلك سيؤدي — ولا شك — الى انهيارها ، وترديها في مهاوي المجهول.

والاسلام دين ونظام لكل الناس علـى حـد تعبير القرآن الكريم : « ومَا أرسَلناكَ إلاّ كافّة للناس بشيراً ونَذيراً — ٣٤ — ٢٨ » فمن الاولى ، أن لا يُترك دون صيانة ورعاية ، بل لا بد وأن يسند الى شخص مـّا من المسلمين — طبعا — ، القيام بهذه المهمة .

وطريق ذلك ، منحصر بالنص عليه ، إما من الله تعالى ، أو من النبي المعصوم (ص) أو الإمام الذي ينصبه النبي .

ويشترط في الإمام ما يشترط في النبي من كونه معصوما عن الخطأ.

من هنا ، فان قضية الخلافة — في المفهوم الديني — تأخذ معنى آخر غير المعاني الاخرى المتسالم عليها عند أكثرية المسلمين . فهـي تأخذ معنى شرعيا يبقى ضمن « النص » .

فالإمام — بعد النبي — مصدر للتشريع لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الاحوال ، فقوله وفعله وتقريره سُنّة .

وبهذا نادى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وعلى هذا بنوا كل أمورهم الدينية •

فالدين فوق كل الميول والاتجاهات ، لا يقـاس بالعقول ، وصاحب الرسالة أدرى وأعلم بمن يقوم بمهماتها •

أما أن يقوم هذا الامر على التخمين والظن والاختيارات الشخصية ، فهذا عين الخطأ ، ولا قاعدة فيه من المشرع الحكيم • بل القاعدة على عكس ذلك ، قال تعالى :

ــ « ربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخَيرة في ذلك » •

هذا بالاضافة الى كون النتائج في هذا الحال مجهولة ، ومتى ما كان الامر كذلك ، فان الخسارة حينئذ تكون أقوى في ميزان الاحتمال •

ولا يبعد أن يكون ماحصل للمسلمين من قبل وما يعانونه اليوم ، إنما هو نتيجة للتصرفات الفردية في هذا الامر الخطير ، فانه منذ أن فقدت القيادة الاسلامية مقوماتها الحقيقية بدأ الكيان الاسلامي يهتـز ، ويدخل مراحل الانهيار •

فالملاحظ ، ان الجسم الاسلامي ــ بكل أبعاده وأشكاله ــ كان ينتقل ضمن دائرة النمو ، من طور الـى طور أكبر ، بشكل متكامل متين لا يعرف الانتكاس ولا الجمود • وما ذلـك إلا بفضل الرعاية الحكيمة مـن النبي الكريم (ص) ، فقد كانت قوة المسلمين تتكامل ، وعددهم يتزايد ، بشكل مستمر ملحوظ ، ووحدتهم متينة لا يزعزعها شيء ، على الرغم من الأخطار التي كانت تحدق بهم ، سواء من بقايا الشرك في الوسط العربي ، أو من المنافقين الذين كانوا بين ظهرانيهم يتربصون بهم الدوائر •

في السَّقيفَة

ما ان التحق الرسول (ص) بربه ، حتى بدأ العد العكسي يأخذ مجراه. فبدأت النوازع العصبية تبرز على الساحة بكل ما تحمل من أخطار ، تشتت الوحدة ، وتفرق الكلمة ، وهذا ما جرى في سقيفة بني ساعدة ، فقد تنازع المهاجرون والانصار في الامر من جهة ، وثارت ثائرة الاوس والخروج ـ التي أطفأ الاسلام نائرتها ـ من جهة أخرى .

واليك لقطات سريعة عن ذلك ـ كما في شرح النهج :

قال سعد بن عبادة ـ سيد الخزرج ـ في خطبته : « فشدوا يدْيكم بهذا الامر ، فانكم أحق الناس ، وأولاهم به ! »

وقال الحباب بن المنذر : « فمنا أمير ومنهم أمير !! »

فقال عمر : « هيهات ! لا يجتمع سيفان في غمد ، إن العرب لا ترضى أن تؤمركم ونبيها من غيركم .! »

فقام الحباب ، وقال : « لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من الامر . »

فلما رأى بشير بن سعد الخزرجي ، ما اجتمعت عليه الانصار من تأمير سعد بن عبادة ـ وكان حاسدا له ـ قال : إن محمداً صلى الله عليه وسلم رجل من قريش ، وقومه أحق بميراث أمره .

فقام أبو بكر ، وقال : هذا عمر وابو عبيدة ، بايعوا أيهما شئتم .

فقالا : والله لا تتولى هذا الامرعليك .. أبسط يدك حتى نبايعك .

فلما بسط يده ، وذهبا يبايعانه ، سبقهما بشير بن سعد فبايعه . فناداه الحباب بن المنذر : يا بشير ، عقتك عَقاق * والله ما اضطرك الى هذا الامر ، إلا الحسد لابن عمك . « يعني سعداً »

ولما رأت الأوس ، ان رئيسا من رؤساء الخزرج قد بايع ، قام أسيد بن حضير — وهو رئيس الأوس — فبايع حسدا لسعد أيضا ، ومنافسة له أن يلي الامر ، فبايعت الأوس كلها لما بايع أُسَيد .

وحُمل سعد بن عبادة — وهو مريض — فأدخل الى منزله ، فامتنع عن البيعة في ذلك اليوم وفيما بعد [1] .

قال البراء بن عازب — وكان خارج السقيفة — في حديث له : فلم ألبث ، واذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر ، وأبو عبيدة ، وجماعة من أصحاب السقيفة ، وهم محتجزون بالأُزُر الصنعانية ، لا يمرون بأحد إلا خبطوه وقدموه ، فمدوا يده ، فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك ، أو أبى . فانكرت عقلي !

ورأيت في الليل ، المقداد ، وسلمان ، وأبا ذر ، وعبادة بن الصامت ، وأبا الهيثم بن التيهان وحذيفة ، وعمارا ، وهم يريدون أن يعيدوا الامر شورى بين المهاجرين [2] .

هذه صورة مختصرة أخذناها من شرح النهج ، وفيها تعبير واضح عن الطريقة التي استخدمت في عقد البيعة لأبي بكر ، وانها لم تكن عن طريق الاختيار — كما يدعى — بل تدخّل فيها عنصر القوة والإجبار .

---

* من العقوق : وهو شق عصا طاعة الوالد وكل ذي رحم .

(١) شرح النهج ٦ / من ص ٦ الى ١٠ .

(٢) نفس المصدر ١ / ٢١٩ / ٢٢٠ .

إِشَارَةُ الفِتَن

ولكن مع ذلك ، فان الفتنة لم تنته بعد ، فقد كانت خيوطها تنسج في أقبية النفاق والضلال من قبل أدعياء الاسلام ، فقد حاولوا غير مرة ، جـ هدين ، في إشعالها .

من ذلك : أن أبا سفيان أقبل الى علي (عليه السلام) قائلا له :

« اني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم ، يا آل عبد مناف ، فيم يلي أبو بكر من أموركم ؟ أين المستضعفان أين الأذلان علي والعباس ؟ ما بال هذا الامر في أقل حي من قريش ؟ »

ثم قال لعلي (ع) : أبسط يدك أبايعك ، فوالله لئن شئت ، لأملأنها عليه خيلا ورجلا . فأبى علي عليه السلام . « وقال : إنك تريد أمرا لسنا من أصحابه ، وقد عهد الي رسول الله (ص) عهدا ، فأنا عليه » [1]

فتمثل أبو سفيان بشعر المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف معكوس برمته وذا يشج فلا يبكي له أحد

(١) هذه الفقرة موجودة في شرح النهج ١٨/٦ .

فزجره علي (ع) ، وقال : والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة ، وانك والله طالما بغيت للاسلام شرا . لا حاجة لنا في نصيحتك[1] .

لقد كان هذا الرد طبيعيا من الإمام علي (ع) أخ النبـي ، ووصيه ، ووزيره ـ كما ورد عن النبي (ص) ـ فلقد كان (ع) يرمي من وراء ذلك الى الحفاظ على وحدة المسلمين ووحدة كلمتهم ليبقى الاسلام ويستمر في مسيرته .

وحاول آخرون إيقاع الفتنة بين المهاجرين والانصار مرة ثانية ، فكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يقف سدا منيعا في وجوههم ، لا يترك لهم في ذلك فرصة تمر .

فقد حاول عمرو بن العاص من خلال كلام قاله في محضر من المهاجرين والانصار ، أن يثير حفيظة المهاجرين على الانصار ، حيث انتقص من مكانتهم ، وأتهمهم بأنهم : إنما أووا النبي (ص) طمعا بالملك أو الإمرة من بعده . وفي ذلك يقول :

تمنيتم الملك في يثرب فأنزلت القدر لم تنضج

في أبيات ، أجابه عليها فيما بعد ، شاعر الانصار ، النعمان بن العجلان : بعد كلام له ، منها :

فقل لقريش نحن أصحاب مكة
ويوم حنين والفوارس في بدر
وكان هوانا في علي وإنه
لأهل لها يا عمرو من حيث لا تدري

وعاود بن العاص الكرة ، بتحريض من سفهاء قريش ،

(١) الكامل ٢/٣٢٦ وفي الطبري ٣/٢٠٢ .

فبلغ الخبر علياً (ع) ، فغضب ، وشتم عمراً ، وقال : أذى الله ورسوله .

ثم قام ، فأتى المسجد ، فاجتمع اليه كثير من قريش ، وتكلم مغضبا فقال :

« يا معشر قريش ، إن حبّ الانصار إيمان ، وبغضهم نفاق ، وقد قضوا ما عليهم ، وبقي ما عليكم ، واذكروا أن الله رغب لنبيكم عن مكة فنقله الى المدينة ، وكره له قريشاً ، فنقله الى الانصار ، ثم قدمنا عليهم دارهم ، فقاسمونا الاموال ، وكفونا العمل ، فصرنا منهم بين بذل الغني ، وايثار الفقير ، ثم حاربنا الناس ، فوقونا بأنفسهم ، وقد أنزل الله تعالى فيهم آية من القرآن ، جمع لهم فيها بين خمس نعم فقال : « والذين تبوّؤا الدّار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة ممّا أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون . » ٥٨ ــ ٩

ألا وان عمرو بن العاص قد قام مقاماً أذى فيه الميت والحي ، ساء به الواتر ، وسر الموتور ، فاستحق من المستمع الجواب . ومن الغائب المقت ، وانه : من أحب الله ورسوله ، أحب الأنصار ، فليكفف عمرو عنا نفسه .

فمشت قريش عند ذلك الى عمرو بن العاص ، فقالوا : أيها الرجل ، أما اذا غضب عليّ فاكفف .

وقال حسان بن ثابت في ذلك أبياتاً ، منها :

جزى الله عنا والجزاء بكفه أبا حسن عنا ومن كأبي حسن
سبقت قريشاً بالذي أنت أهله فصدرك مشروح وقلبك ممتحن

وترك عمرو بن العاص المدينة ، وخرج عنها حتى رضي علي والمهاجرون[١] .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، فقد أخذت أخطار الردة تهدد المسلمين ، فكان ما كان من أمر مسيلمة الكذاب ، وطليحة النمري ، وسجاح ، وبقايا فلول الشرك في شبه الجزيرة العربية ، فوقعت معارك بينهم وبين المسلمين إستشهد فيها من المسلمين عدد كبير . ففي وقعة اليمامة وحدها خسر المسلمون « من المهاجرين والانصار من أهل المدينة ، ثلاثمائة وستين ، ومن غير المدينة ثلاثمائة رجل . »[٢]

---

(١) شرح النهج ٦ / ٣٠ الى ٣٥ .
(٢) الكامل ٢ / ٣٦٥ .

رقابة المسلمين

لقد كان المسلمون الأوائل يراقبون عن كثب ، سلوك الخليفة ، وتحركاته وتصرفاته ، سواء في ذلك ما تعلق به شخصياً ، من حسن السيرة ، وإحقاق الحق والحكم بين الناس بالعدل ، أو ما يتعلق بالمسلمين بشكل عام ، كالمساواة في العطاء — إلا ما أمر الله — وحسن إختيار الولاة من أهل الكفاءة والدين والعدالة وما الى ذلك . وهذا هو الذي أعطى الخلافة هيبتها ، وضمن لها الاستمرار فترة ما .

فكان المسلمون لا يألون جهدا في تقويم ما اعوج ومال عن خط الاسلام ، قدر الإمكان ، فكانوا يستنكرون التصرفات الشاذة ، ويعلنون احتجاجهم عليها ، بل ربما استعملوا العنف حين لا تنفع الكلمة ، كما جرى بين أبي بكر وعمر بشأن خالد بن الوليد حين قتل — هذا الاخير — مالك بن نويرة ، ودخل بامرأته ليلة مقتله . فقد احتج عمر على ابقاء خالد في قيادة الجيش ، وحين رأى أن أبا بكر يعتذر عنه ، بأنه « ما أول من تأول فأخطأ » نهض اليه عمر بنفسه ، — وكان خالد قد دخل المسجد ، وقد غرز في عمامته أسهما — فنزعها عمر وحطمها ، ثم قال له « قتلت إمرء مسلما ، ثم نزوت على إمرأته والله لأرجمنك بأحجارك . »[1]

---

(١) الكامل ٢/٣٥٩ .

وقد أفسح أبو بكر المجال أمـــام الصحابة ، في إلفاته ، وتنبيهه على أخطائه ، وذلك ، حين قال في خطبته بعد السقيفة :

« و ُليتُ أمركم ولست بخيركم ، فاذا أحسنت فأعينوني ، واذ أسأت فقوّموني ، إن لي شيطاناً يعتريني ، فاياي واياكم اذا غضبت •• الخ•» [١]

وجاء عهد عمر بن الخطاب ، وتولى زمـــام الامور بعـــد أبي بكـــر ـــ بوصية وعهد منه ـــ وذلك : أنه حين مرض أبو بكر مرض الموت ، أحضر عثمان بن عثمان ، فقال له :

إكتب ، بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهده أبو بكر بن أبي قحافة الى المسلمين ، ثم أغمي عليه ، فكتب عثمـــان : أما بعد فاني قـــد استخلفت عليكـــم عمر بن الخطاب ، ولم آلكم خيرا ، ثم أفاق أبو بكر ، فقال : إقرأ علي ، فقرأ عليه ،فكبر أبـــو بكـــر وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن مِتّ في غشيتي •• » [٢]

وسار عمر بسيرة صاحبه ، إلا أنه كان كثير الفتيا ، وكثير الخطأ ، على حد تعبير ابن أبي الحديد ، قال : « وكان عمر يفتي كثيرا بالحكم ثم ينقضه ويفتي بخلافه ، قضى في (مسألة) الجد مع الاخوة قضايا كثيرة مختلفة ، ثم خاف من الحكم في هذه المسألة •• » [٣]

إلا أن وجود الإمام علي عليه السلام فـــي المدينة ـــ آنذاك ـــ كـــان يساعد الخليفة ، وكل المسلمين على حل ما يستعصي لديهم من الامور المتعلقة بالحكم أو الفتيا ، فكان المسلمون يرجعون اليه في ذلك ، ويأخذون منه •

---

(١) شرح النهج ٦ / ٢٠ .
(٢) الكامل ٢ / ٤٢٥ .
(٣) شرح النهج ١ / ١٨١ .

فكان سيد الميدان في هذا المضمار ، والمرجع الوحيد الذي لا ينازعه أحد من المسلمين .

وأصرح ما يدل على ذلك ، قول عمر بن الخطاب ، في أكثر من مناسبة :

« كاد يهلك ابن الخطاب ، لولا علي بن أبي طالب » .

وقوله : « أعوذ بلله أن أعيش في قوم لستَ فيهم أبا الحسن » .

وقوله : « الله أعلمُ حيث يجعلُ رسالته » .

وقوله : « اللهم لا تنزل بي شديدة ، إلا وأبو الحسن الى جنبي » [1]

لقد كان علي عليه السلام والمخلصون من الصحابة ، يبدون النصيحة، ولا يألون جهداً في ذلك، وهذا هو الذي ضمن للخلافة هيبتها في تلك الفترة . فمن الواضح أن هيبة الخلافة في عهد عمر ، بلغت الى حد ، ان الدرة (السوط) كانت أمضى من السيف في حل الخصومات ، حتى قيل : درّة عمر أهيب من سيف الحجاج .

والحقيقة أن الهيبة لم تكن إلا لتكاتف المسلمين ووحدتهم وحيطتهم على الاسلام .

---

(١) راجع الغدير ١٠٣/٦ الى ١٠٦ .

فقدان الهيبة في خلافة عثمان

إن المتتبع لما كتبه المؤرخون يلاحظ بوضوح

إن المتتبع لما كتبه المؤرخون يلاحظ بوضوح ، أن الخلافة بدأت تفقد هيبتها ـ كسلطة زمنية ودينية ـ في السنة الثانية من خلافة عثمان ، وأخذت تتحول إلى سلطة زمنية فحسب ، تقوم على القوة ، والقهر ، والإغراء بالمال ، بعيداً عن طابعها الحقيقي .

فقد بدأ الأمويون يهيئون لهذه الخطة منذ اليوم الاول لخلافة عثمان ، وذلك ، عن طريق نفوذهم في الحكم ، حيث أصبح زمام السلطة بأيديهم يوجهونه أنى شاؤا ، دون أن يجرأ على معارضتهم في ذلك أحد ، واذا ما حاول بعض المخلصين من الصحابة ذلك ، وجدوا في الخليفة حاجزاً يحميهم ، ويداً طولى تساعدهم على تنفيذ مخططاتهم .

نعم ، بدأت فكرة التحويل من اليوم الاول لخلافة عثمان ، ويبدو ذلك واضحاً من خلال ما قاله بعض أقطاب الامويين في أكثر من مناسبة .

روى الشعبي ، قائلا : « فلما دخل عثمان رحله ـ يعني بعد البيعة ـ دخل اليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار ، ثم أغلقوها عليهم ، فقال أبو سفيان بن حرب (وكان أعمى) : أعندكم أحد من غيركم ؟ قالوا : لا . قال : يا بني أميّة ، تلقفوها تلقف الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ، ما من

عذاب ، ولا حساب ، ولا جنة ، ولا نار ، ولا بعث ولا قيامة . » [١]

وقصد مرة قبر حمزة أسد الله وأسد رسوله . فلما وصل اليه « ركله برجله ، وقال : يا أبا عمارة ، إن الامر الذي اجتلدنا عليه بالسيف ، أمسى في يد غلماننا يتلعبون به . » [٢]

وفي السنة الثانية من خلافته، مورست خطة التحويل عمليا، فبالاضافة الى الهبات والقطائع الضخمة التي كان يمنحها الخليفة الى المقربين ـ كما ستقرأ ـ ، كان الولاة من بني أمية يستغلون منصب الولاية لتكريس مقدرات الامة لمصالحهم الشخصية ويتصرفون مع المسلمين من هذا المنطلق المنحرف عن الخط الاسلامي ، فكان بعضهم يرى أن الفيىء الذي أفاءه الله على المسلمين إنما هو بستان لقريش ليس لأحد دونها حق فيه ، كما قال سعيد بن العاص والي الكوفة مخاطبا بعض جلسائه [٣] .

بل أكد ذلك الوليد بن عقبة بقوله ، مخاطبا سعداً : « لا تجزعنّ أبا إسحاق ، كل ذلك لم يكن ، وانما هو الملك ، يتغداه قوم ، ويتعشاه آخرون .! » [٤]

قالها الوليد حين ولي إمارة الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص عنها.

وبذلك ، يتضح أن خلافة عثمان كانت فرصة لانقضاض الأمويين على مقدرات الامة وأرزاقها ، ولولا يقظة بعض أقطاب المسلمين وحذرهم ، لتم

(١) شرح النهج ٥٣/٩ .
(٢) حياة الامام الحسن ٢١٢/١ نقلا عن ابن عساكر ٤٠٧/٦ .
(٣) راجع الكامل ١٣٩/٣ .
(٤) الكامل ٨٣/٣ .

لهم ذلك بسرعة ، لكن المعارضة المستمرة كانت تحول دون ذلك ــ جزئياً ــ معارضة أبي ذر الغفاري وأمثاله •

ولـو أن عثمان تقبل مـن مخلصي الصحابة مـا كانوا يلفتونه اليه ، ويحذرونه منه ، لما انتهى الأمر به الى ما انتهى ، ولظلت الخلافة الاسلامية في مركزها وهيبتها ، فان إفراطه في التغاضي عن سلوك ولاته والمقربين منه كانت نتيجته : فقدان هيبة الخلافة في أيامه •

سياسة عثمان في إختيار الولاة

لقد اختار عثمان الولاة والعمال الاداريين ، على غير القاعدة المتعارفة لدى المسلمين ، ولدى من سبقه من الخلفاء .

فالمعروف ، أن القاعدة التي ينطلق منها هذا الاختيار ، تبتني على أسس بعيدة عن منطق القرابة ، والرحم ، والعشيرة ، بل ترتكز على دعائم اسلامية ، يجمعها التقى والصلاح ، وحسن الادارة والأمانة ، فالولاية لا تعدو كونها ممثلية صغرى للخلافة التي هي أول ممثلية — في المفهوم الاسلامي — لرسول الله صلى الله عليه وآله . لذلك ، فان اختيار الولاة كان ينصب على ذوي السابقة في الدين ، والجهاد في الاسلام .

والملاحظ ، أن عثمان خالف القاعدة في ذلك ، فاختار أقاربه ، وذوي رحمه ممن كانوا متهمين في دينهم ، بل كان فيهم من أمره في الفسق معروف مشهور .

فمن هؤلاء الولاة :

١ — **عبدالله بن سعد بن أبي سرح :** ولاه عثمان على مصر .

وكان عبدالله هذا ، قد أسلم وكتب الوحي لرسول الله (ص) ، فكان اذا أملى عليه : عزيز حكيم . يكتب : عليم حكيم ، وأشباه ذلك . ثم ارتد ، وقال لقريش : إني أكتب أحرف محمد في قرآنه حيث شئت ، ودينكم خير من دينه .

فلما كان يوم الفتح ، فرّ الى عثمان بن عفان ، وكان أخاه من الرضاعة، فغيبه عثمان حتى اطمأن الناس ، ثم أحضره عند رسول الله (ص) وطلب له الأمان ، فصمت رسول الله (ص) طويلا ، ثـم أمّنه ، فأسلم وعـاد ، فلما انصرف ، قال رسول الله (ص) لأصحابه : لقد صَمَتُّ ليقتله أحدكم..»[١]

٢ ـ معاوية ابن ابي سفيان : وكان عاملا لعمر على دمشق والاردن، فضمّ اليه عثمان ولاية حمص وفلسطين والجزيرة ، وبذلك مدّ لـه فـي أسباب السلطان الى أبعد مدى مستطاع [٢] . وأمر معاوية واضح غير خفي .

٣ ـ الوليد بن عقبة :

ولاه عثمان الكوفة سنة ٢٥ للهجـرة . والوليد هـذا ، هـو الذي وصفه القرآن الكريم بالفسق . ففيه نزلت الآية الكريمة « يـا أيهـا الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » وكان النبي (ص) قد بعثه في صدقات بني المصطلق ، فخرجوا لاستقباله ، فظـن انهـم أرادوا قتلـه ، فرجع الى النبي (ص) وأخبره انهم منعوا صدقاتهم ، الخ .. » [٣]

وقد ولاه عثمان الكوفة بعد عزل سعد بن ابي وقاص ، فالتفت الوليد الى سعد مسلياً اياه ، قائلا له : « لا تجزعن أبـا اسحاق كل ذلك لم يكن وانما هو الملك يتغداه قوم ، ويتعشاه آخرون » .

قال المسعودي : ثم عزله عثمان فيما بعد ، لما شاع وذاع مـن فسقه ، فقد كان يشرب مع ندمائه ومغنيه الى الصباح . وذات يوم آذنه المؤذنون

(١) الكامل ٢/٢٤٩ .
(٢) ثورة الحسين /٤٠ .
(٣) مجمع البيان ٩/١٣٢/الحجرات .

بصلاة الصبح ، فخرج متفضلا في غلائله ، فتقدم الى المحراب ، فصلى بهم الصبح أربعاً ، وقال أتريدون أن أزيدكم ؟

فقال له بعض من كان في الصف الاول خلفه : ما تزيد ؟ لازادك الله من الخير ، والله لا أعجب إلا ممن بعثك الينا والياً وعلينا أميراً .. »[١] الى آخر الحكاية .

٤ ـ سعيد بن العاص :

عيّنه عثمان والياً على الكوفة ، بعد ان عزل الوليد عنها . ولم يكن سعيد ، ليخفي ما في نفسه من الرغبة في التسلط على فيىء المسلمين إن امكنت الفرصة من ذلك . بل أكد على ذلك بقوله لبعض جلسائه : « انما هذا السواد بستان قريش »[٢]

٥ ـ عبدالله بن عامر بن كريز :

وكان عبدالله هذا من أبرز الدعاة الى سياسة التضييق والافقار والاشغال ، التضييق على المسلمين الذين نادوا مطالبين عثمان بالعدالة، ورفع الجور ، وعزل العمال .

فقد أشار على عثمان بذلك حين استشاره ، بقوله : « أرى لك يا أمير المؤمنين ، أن تشغلهم بالجهاد عنك ، حتى يذلوا لك ، ولا يكون همّة أحدهم إلا في نفسه ، وما هو فيه من دُبْر دابته وقمّل فروته .. »[٣]

---

(١) مروج الذهب ٢/٣٣٤ .
(٢) للتفصيل راجع الكامل ٣/١٣٩ .
(٣) نفس المصدر / ١٥٠ .

سياستهُ في المال

يصف المؤرخون عثمان ، بأنه كان جوادا وصولا بالأموال • وقدم أقاربه وذوي أرحامه على سائر الناس • وسوّى بين الناس في الأعطية • وكان الغالب عليه مروان بن الحكم ، وأبو سفيان بن حرب [١] •

وان تقريبه بني أمية وتقديمه اياهم على سائر المسلمين ، كان سببا في جرأة بعض الصحابة عليه • حتى ان بعضهم وصمه بالكذب على مرأى ومسمع من حشود المسلمين ، حين كان يخطب لصلاة الجمعة • فقد أقبل عبدالله بن مسعود ــ خازن بيت المال ــ فقال مخاطبا المسلمين :

« أيها الناس ، زعم عثمان أني خازن له ولأهل بيته ، وانما كنت خازنا للمسلمين ، وهذه مفاتيح بيت مالكم •• » [٢]

« ولو كانت هذه الهبات من أمواله الخاصة ، لما أثارت اعتراض أحد، ولكنها كانت من بيت المال • » [٣]

فقد ورد في حديث عبد الرحمن بن يسار قوله : « وكان عثمان اذا أجاز أحدا من أهل بيته بجائزة ، جعلها فرضا من بيت المال • » [٤]

---

(١) اليعقوبي ٢/١٧٣ .
(٢) نفس المصدر ــ ١٦٩ .
(٣) ثورة الامام الحسين / ٣٦ .
(٤) اليعقوبي ٢/١٦٨ .

اغداقه على الامويين

ومجمل القول ، فان هبات عثمان لاقربائه وذوي أرحامه ، بلغت حدا يفوق الوصف ، ولا سيما بالمقايسة مع طبيعة المجتمع الاسلامي آنذاك .

وعلى سبيل المثال ، نذكر بعض النصوص التـي تعطينا صورة مجملة عن ذلك .

١ ــ « **ارجع الحكم** ــ طريد رسول الله ــ من منفاه ، ووصله بمائة ألف » .

٢ ــ **اقطع مروان بن الحكم** فدك ، وكانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها (ص) بدعوى الميراث تارة ، وأخرى بالنحلة ، فدُفعت عنها .

٣ ــ **أعطى عبدالله** بن أبي سرح ــ أخاه من الرضاعة ــ جميع مـا أفاء الله على المسلمين من فتح افريقية ، من غير أن يشركه فيه أحد .

٤ ــ **افتتحت ارمينية** في أيامه ، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان » .

٥ ــ **زوج ابنته عائشة** من الحرث بن الحكم بن العاص ، فأعطاه مائة ألف درهم .

٦ ــ **زوّج ابنته** من عبدالله بن خالد بن أسيد ، وأمر لـه بستمائة ألف درهم ، وكتب الى عبدالله بن عامر أن يدفعها اليه من بيت مال البصرة .

٧ ــ **حمى المراعي** حول المدينة كلهـا ، من مواشي المسلمين كلهم إلا عن بني أمية .

٨ ــ **والأغرب من ذلك** « أن رسول الله (ص) تصدق علـى المسلمين بموضع سوق بالمدينة يعرف بـ « مهزور » فأقطعه عثمان الحرث بن الحكم أخي مروان .

٩ ـ **اعطى أبا سفيان** بن حرب مائتي ألف من بيت المال ، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال [١] .

١٠ ـ **قدمت ابل** الصدقة على عثمان ، فوهبها للحرث بن الحكم .

وكان عثمان يقول في ذلك: « **هذا مال الله اعطيه من شئت ، وامنعه من شئت فارغم الله أنف من رغم** » ويقول : « **لناخذن من ذلك حاجتنا ، وان رغمت أنوف أقوام .** » [٢]

تقريبه لذوي النفوذ والثراء

لم تقتصر هبات عثمان على آله وذوي رحمه ، بل شملت المبرزين في قريش من ذوي النفوذ ، وخصوصا بعض أعضاء الشورى ، الذين امتدت أعناقهم الى الخلافة ، فزرعت في نفوسهم نوعا من الشعور بالحرمان ، يقابله نوع من الطموح الى الحكم ، فكان عثمان يغدق عليهم من بيوت الاموال .

بالاضافة الى ذلك ، فقد سهل لهم تنمية هذه الثروات « فقد قام باجراء مالي فتح به للطبقة الثرية أبوابا من النشاط المالي ، وأتاح لها فرص التمكين لنفسها وتنمية ثرواتها ، وذلك ، حين اقترح أن ينقل الناس فيئهم من الارض الى حيث أقاموا ، فمن كان له أرض في العراق أو الشام أو في مصر ، له أن يبيعها ممن له أرض بالحجاز ، أو غيره من بلاد العرب .

وقد سارع الاثرياء الى الاستفادة من هذا الاجراء ، فاشتروا بأموالهم المكدسة أرضين في البلاد المفتوحة ، وبادلوا أرضهم في الحجاز ، أرضين في البلاد المفتوحة، وجلبوا لها الرقيق والاحرار ، يعملون فيها ويستثمرونها،

---

(١) شرح النهج ١/١٩٨ ـ ١٩٩ والغدير ٨/٢٦٧ الى ٢٨٠ .
(٢) الغدير ٨/٢٨١ .

وبذلك نمت هذه الثروات نموا عظيما وازدادت هذه الطبقة الطامحة الى الحكم ، والطامحة الى السيادة قوة الى قوتها . » [١]

ونذكر من اولئك النفر الذين صار اليهم مال عظيم وثراء فاحش في عهد عثمان .

١ – الزبير بن العوام : أحد أعضاء الشورى .

« ترك احدى عشرة دارا بالمدينة ، ودارين بالبصرة ، ودارا بالكوفة ، ودارا بمصر ، وكان له أربع نسوة ، فأصاب كلّ إمرأة بعد رفع الثلث (مليون ومائتا الف) قال البخاري : فجميع ماله : خمسون ألف ألف وثمانمائة الف الخ .. » [٢]

وقال المسعودي : وخلف الزبير ألف فرس ، وألف عبد وأمة [٣] ..

٢ – طلحة بن عبيدالله التيمي : أحد أعضاء الشورى أيضا .

كانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار . وترك ما قيمته ثلاثين مليون درهما [٤] .

٣ – عبد الرحمن بن عوف الزهري : أحد اعضاء الشورى .

قال ابن سعد في طبقاته : ترك عبد الرحمن الف بعير ، وثلاثة آلاف شاة ، ومائة فرس ترعى بالبقيع ، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً . وقال : وكان فيما خلفه: ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه ، وترك أربع نسوة ، فأصاب كل امرأة ثمانون ألفا .

(١) ثورة الحسين – بتصرف ٣٦ – ٣٧ .
(٢) الغدير ٢٨٢/٨ نقلا عن صحيح البخاري .
(٣) المسعودي ٣٣٣/٣ .
(٤) الغدير ٨ ص ٤٨٤ نقلا عن الطبقات لابن سعد ٩٦/٣ و ١٠٥/٣ .

٤ ـ **سعد بن ابي وقاص :** ترك يوم مات ، مائتين وخمسين ألف درهم ، ومات في قصره بالعقيق [١] .

٥ ـ **زيد بن ثابت :** خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس ، غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار .

٦ ـ **يعلي بن منية :** خلف بعد موته خمسمائة ألف دينار، وديونا على الناس، وعقارات ، وغير ذلك من التركة ما قيمته ثلاثمائة ألف دينار .

قال المسعودي : وهذا باب يتسع ذكره ، ويكثر وصفه فيمن تملك من الاموال في أيامه [٢] .

هذه لمحة سريعة عن سياسة عثمان ، حيال المال ، ونهجه في اختيار الولاة ، وتقريبه للامويين ، وفتحه المجال أمامهم ، وأمام غيرهم من خاصته للوصول الى مراكز النفوذ في الدولة الاسلامية .

قال العقاد : فكانت له نظرة للامامة ، قاربت أن تكون نظرة الى الملك، وكان يقول لابن مسعود ــ كلما ألحّ عليه في المحاسبة ــ « مالك ولبيت مالنا ؟ » وقال في خطبته الكبرى ، يرد على من أخذوه بهباته الجزيلة .. « فضل من مال ، فلِم لا أصنعُ في الفضل ما أريد ، فلِمَ كنت إماما .؟ » [٣]

في قبال هذه الفئة المتخمة من الناس ، كانت هناك فئة أخرى من خيرة الصحابة حرمهم عثمان من عطائهم ، كأبي ذر ، وعبدالله بن مسعود (رض). ونقم عليهم عثمان ، لأنهم كانوا صريحين في جنب الله ، لا تلومهم في الله لومة لائم ، فشرّد الاول ، وكسر أضلاع الثاني .

---

(١) الغدير ٨/٢٨٤ .
(٢) المسعودي ٣/٣٣٣ .
(٣) عثمان ٢١١/٢١٢ .

معارضة أبي ذر

إن هذا الانحراف الواضح في سياسة عثمان ، هـو الذي فتح عليه أبواب المعارضة في عدة جبهات • في المدينة ، والشام ، ومصر ، والعراق ! ومن اجلاء الصحابة وعظمائهم •

فقد ألزمتهم هذه السياسة بالتحرك المعاكس لها ، أملا في ارجاع الحق الى نصابه • وتداركا لما قد تسببه من نتائج خطيرة على المجتمع الاسلامي كافة •

وهم — مع هذا كله — كانوا لا يتوانون في إسداء النصيحة للخليفة، واضعين في حسابهم وحـدة المصير • لكنه كـان لا يلتفت اليهم ، ولا الى نصائحهم، بل يقابلهم بأسلوب خشن ، في حين كان يصغي لمروان بن الحكم، وعمرو بن العاص ، ومعاوية ، واضرابهم من المنحرفين وممـن أمرهم فـي الاسلام واضح •

لقد كان أبو ذر (رض) من جملة أولئك المخلصين ، فلم يتلكأ في ابداء النصيحة لعثمان بل كان يجهد في ذلك ، فيصارحه ، ويصارح غيره من ولاته بما أحدثوه وبدّلوه في مسرى الخلافة الاسلامية، وحرفهم إياها عن الطريق المميز لها •

يظهر هذا من قول ابي ذر لـه : « نصحتك فاستغششتني ، ونصحت صاحبك ـ يعني معاوية ـ فاستغشني . » [1]

لكن الطرف الثاني ، كان يعير لهذه النصائح أذنا صمّاء . ويتمادى في سياسته تلك غير آبه ولا مكترث بما يجري من حوله . واذا أراد أن يجيب في بعض الاحيان ، فانه يرمي من ينصحه ، بالكذب والافتراء تارة ، وبتدبير المكائد وشق عصا الامة ، تارة أخرى ! الى غير ذلك مما يبعث في نفس الناصح نوعا من الشعور باليأس ، والاشمئزاز ، والفشل في مهمته الاصلاحية ، فيجعله مضطرا للمجاهرة بقول الحق ، في كل مناسبة ، وكل مكان ، بوحي من ضرورة وجوب : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من ركائز الاسلام ومقوماته .

وهذا ما حصل فعلا لأبي ذر مع عثمان حين أمعن بالاستمرار في سياسته .

لقد جاهر أبو ذر (رض) بمعارضته للولاة والمقربين ، وكشف أوراقهم، غير خائف ولا مكترث .

وفي هذه المرحلة ، نرى أبا ذر (رض) قد اتصف بصفة مميزة عن باقي الصحابة حول هذا الامر . يصح لنا تسميتها بصفة : الاقحام . فهو في دوره هذا ينسى نفسه بعض الاحيان ، فيتحرر من الذات وعلائقها ، ومن كل تقاليد محيطه ، ويقتحم نفسه ليحرر كلمته ، فكانت المناسبات منبرا له ، منبرا حرا غير مقيد بزمان ولا بمكان ، وكانت كلمته ، الكلمة الجريئة التي لا تعرف الوجل ، ولا الرياء ، ولا المداهنة . كان يقولها في الطرقات وفي الشوارع وبين الناس ، وعلى أبواب قصر الخضراء ، يقولها ، حفاظا لعهد رسول الله (ص) وحيطة على الاسلام .

(١) شرح النهج ٢٥٩/٨ .

قال ابن ابـي الحديد : « إن عثمان لما أعطى مروان وغيره بيـوت الاموال ، واختص زيد بن ثابت بشيء منها ، جعل أبو ذر يقول بين الناس، وفي الطرقات ، والشوارع : بشر الكانزين بعـذاب أليـم ! ويرفع بذلك صوته ، ويتلو قوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم • » [١]

وهذه الآية إنما تندد وتتوعد فئة معينة مـن أصحاب الثروة • وهم الذين يجمعونها من طرق غير مشروعة ، كالذين كانوا يأخذون ما أفاء الله على المسلمين ، ويستأثرون به دون غيرهم ، في عهد عثمان ، بأرقام خيالية ، كما عرفنا • أو الذين يأخذونها عن طرق مشروعة ــ كالكسب ــ ولكن لا يؤدون زكاتها المفروضة •

فقد ورد عن النبي (ص) لما نزلت هذه الآية • قال : « كل مـا يؤدى زكاته فليس بكنز ، وان كان تحت سبع أرضين ، وكل مال لا يؤدى زكاته ، فهو كنز ، وان كان فوق الارض [٢] •

وقد ذكر البخاري هذه الآية في كتاب الزكاة [٣]

وأبو ذر، رضي الله عنه، اكرم مقاما وأعلى شأنا من أن يتخذ مذهبا معينا فـي المال ، فـي قبال ما هو ضروري فـي الاسلام ــ كمـا يدعي بعض المؤرخين ــ كيف وهو نفسه كـان يمتلك الشياه والمواشي ، ويأخذ عطاءه كل سنة والبالغ أربعمائة دينار ذهباً •؟

إذن كان تكريره لهذه الآية على سبيل إلفات المسؤولين ــ آنذاك ــ

---

(١) المصدر السابق / ٢٥٦ .
(٢) الميزان ٩/٢٥٦ .
(٣) البخاري / باب اثم مانع الزكاة ٢ / ١١٠ .

الى أن ما جمعوه أو أعطوه على حساب بقية المسلمين ، انما هـو جريمة في حقهم . وأنهم سيلقون جزاءهم العادل يوم القيامة .

وقد كان أبو ذر في سعة من ابداء هذا النقد الصريح القاسي الذي يسبب له عيشا ضنكا في ظل سخط الخليفة والمقربين من حوله ، وظلّ تهديداتهم إياه بالفقر أو القتل ، على حد تعبيره : « إن بني أمية تهددني بالفقر والقتل [1] .. فقد كان بوسعه أن يحظى بكل ما يتمناه من التكريم والعطاء والقرب لدى عثمان ، لكنه مع هذا ، كان يجد في هذه السعة ضيقا، وحرجا عليه يلزمانه بقول الحق، وان كان مُرّاً ، ففضّل الضيق في الحق ، على السعة في الباطل ، وفضّل أن يرضي الله بسخط عثمان وغضبه ، ولا يغضب الله تعالى برضا عثمان .

وكانت أقوال أبي ذر تبلغ عثمان ، فيسكت ، ويغضي حيث لا مناص عن السكوت والإغضاء وما عساه أن يفعل مع صحابي من ذوي السابقة في الدين مشهود له بالفضل على لسان رسول الله (ص) أيمنعه عن قراءة القرآن ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

كيف ، وفي منعه له عن ذلك تعدّ واضح على أحكام الاسلام سوف يفتح عليه أبوابا جديدة من المعارضة .

قال ابن ابي الحديد : ثم انه أرسل اليه مولى من مواليه : أن انته عما بلغني عنك !

فقال أبو ذر : أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله ، وعيب من ترك أمر الله فوالله لئن أرضي الله بسخط عثمان ، أحب الي وخير لي من أن اسخط

---

(١) اعيان الشيعة ٣٥٣/١٦ عن حلية الاولياء .

الله برضا عثمان ٠ » [١]

ويلاحظ المتتبع ، أن أبا ذر ، كان مؤدبا غاية الأدب مع عثمان نفسه ، فكان يتحاشى أن يسمعه كلاما يسيء اليه ، أو يـرد عليـه بأجوبة غليظة ٠ بينما في الوقت ذاته نجده لا يتحرج من توجيه الكلام الشديد الى بطانته وبعض ولاته ٠ ومرد ذلك لأمرين ٠

أحدهما : أن أبا ذر الصحابي الجليل قمـة فـي الاخلاق والفضيلة ، والخصال الحميدة التي ينبغي للمؤمن أن يتخلّق بها ، فلا يسب ولا يشتم ، ولا يتهم الطرف المقابل بما هو بعيد عنه ٠

ثانيهما : أن حواره مع الخليفة كان يبتني على الاحتفاظ بالصفة التي أعطيت له ٠ فهو ينظر الى عثمان فـي محاوراته معه ، مـن زاوية سلطته الزمنية ، لا من زاوية ذاته ٠

أما نظرته الى حاشيته ، وبعض ولاته ، فانها تختلف اختلافا كليا عن ذلك ، فهو يعرفهم على حقيقتهم ، كما يعرف نواياهم ، فلا يترك لأحد منهم فرصة للتقول علـى الله بغير الحق ، بـل يجبههم بالأجوبة المقذعة حينا ، والمسكتة حينا آخر ، ويكيل لهم الصاع صاعين في ذلك ٠

قال عثمان يوما ــ والناس حوله ــ : أيجوز للامام أن يأخذ من المال، فاذا أيسر قضى ؟

فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك !

فقال أبو ذر : يا ابن اليهوديين ! أتعلمنا ديننا ؟!

فقال عثمان : ما أكثر اذاك لي ، وأولعك بأصحابي ؟ إلحق بمكتبك ،

---

(١) شرح النهج ٢٥٦/٨ ٠

وكان مكتبه بالشام إلا أنه كان يقدم حاجا ،ويسأل عثمان الإذن لـه فـي مجاورة قبر رسول الله (ص) فيأذن له في ذلك . »

لم يعد الخليفة يطيق وجود أبي ذر وأمثاله في المدينة ، فأمره باللحوق بالشام ، وفي هذا الامر تعجيل على أبي ذر بالرحيل اليها ، وتقييد لحريته في الإقامة بالمدينة متى أحب .

لقد غضب عثمان على أبي ذر ، فظـن أن غضبه هـذا سيضع حداً لنشاط أبي ذر ، لكن الذي حصل هو العكس . خصوصا بعد ان انقطعت الشعرة التي كانت بينهما .

موقف أبي ذرّ من معاوية

في الشام ، كان المجال لأبي ذر أوسع من أي بلد آخر . كما كانت نظرته إلى معاوية ، تختلف عن نظرته إلى عثمان .

فهو يعرف معاوية على حقيقته ، ويعرف إسلام معاوية واسلام أبيه من قبله ، لذلك كان صريحا في أقواله ، وخطبه ، ومواعظه ، وواضحا في دعوته ومنهجه ..

كان صريحا في موقفه الذي ربما تكتم منه بعض الشيء في المدينة، فكان يركز على الانحراف السائد آنذاك ، واستئثار الولاة بالفيء ، وعدولهم عن جادة الحق ، واطفائهم للسنة ، واحيائهم للبدعة . الى غير ذلك ، مما يدعو الى اثارة الناس .

وبذلك فتح على عثمان جبهة جديدة ـ ربما لم تخطر على باله ـ استهدفته ومعاوية معاً .

« كان يقوم في كل يوم ، فيعظ الناس ، ويأمرهم بالتمسك بطاعة الله، ويحذرهم من ارتكاب معاصيه ، ويروي عن رسول الله (ص) ما سمعه منه في فضائل أهل بيته عليه وعليهم السلام ويحضهم على التمسك بعترته . »[1]

(١) الاعيان ١٦/٣٥٥ ـ ٣٥٦ .

وكان يقول : « أما بعد ، فانا كنا في جاهليتنا ، قبل أن ينزل علينا الكتاب ، ويبعث فينا الرسول ، ونحن نوفي بالعهد ، ونصدق الحديث ، ونحسن الجوار ، ونقري الضيف ، ونواسي الفقير . فلما بعث الله تعالى فينا رسول الله ، وأنزل علينا كتابه ، كانت تلك الاخلاق يرضاها الله ورسوله ، وكان أحقّ بها أهل الاسلام ، وأولى ان يحفظوها فلبثوا بذلك ما شاء الله أن يلبثوا .

ثم ان الولاة ، قد أحدثوا أعمالا قباحا لا نعرفها . من سنّة تُطفى ! وبدعة تحيى ! وقائل بحق مكذَّب ، وأثرة لغير تقى ، وأمين ــ مُستأثر عليه ــ من الصالحين ... »

وكان يعيد هذا الكلام ويبديه ! [1]

وكان أبو ذر ، ينكر على معاوية ، أشياء يفعلها ، فبعث اليه معاوية يوما ثلاثمائة دينار !

فقال أبو ذر لرسوله : إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا ، أقبلها ، وان كانت صلة ، فلا حاجة لي فيها . وردّها عليه [2] .

وكان أبو ذر يقول بالشام : والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، والله ما هي في كتاب الله ، ولا في سنة نبيه (ص) والله إني لأرى حقا يطفأ ، وباطلا يحيا ... الخ ..

ولم يكن أبو ذر ، غريبا عن الشام ــ أرض الجهاد ــ على حد تعبيره ، وعن معسكر المسلمين هناك ، فقد اشترك في غزوة الصائفة (الروم) كما شارك في فتح قبرص ، وكان أحد الصحابة البارزين في تلك المعارك ــ كما مر معنا ــ .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) شرح النهج ٣٥٦/٨ .

فكان يحدث بأحاديثه تلك أمام العامة والخاصة ، كما كان يحدث بها أمام الجند ، مما دفع حبيب بن مسلمة الفهري ـ أحد القادة ـ الى تحذير معاوية من مغبّة ذلك ، وهذا ما يؤكده قول إبن بطّال ـ المتقدم ـ من أنه كان كثير المنازعة لمعاوية والاعتراض عليه ، وكان في جيشه ميل له .

ولا يغرب عن بالنا ، أن معاوية ـ بالاضافة الى تكريس نفسه أميرا على الشام ـ كان يمني نفسه بالخلافة مع أول فرصة تلوح ، وكان يمهد لذلك أيام إمارته . لذا ، فانه يرى أن وجود أبي ذر وأمثاله من المبرزين ، ضمن دائرة سلطانه ، قد يحول دون استقامة هذا الامر له ، فكان أحرص على إبعاده عنه ، من ابعاد عثمان إياه عن المدينة . فكتب الى عثمان فيه :

« انك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر . » [1]

والواقع : أنه أفسدها على معاوية وعلى عثمان معاً ، لأنه كان ينددد بأعمال الولاة ، وانحرافهم ، واستئثارهم بالفيء ، بحجة انه « مال الله » ، وكأن الله سبحانه قد أوكل بهذا المال ـ المال الذي أفاءه الله على المسلمين بفضل جهادهم ـ الى عثمان ، كي يبيح لمعاوية صرفه في سبيل غاياته الشخصية . وكي يعطيه لمروان بن الحكم ، وللحكم ابن ابي العاص (طريد رسول الله) ، ولأبي سفيان !! ولعبدالله بن سعد ! ومن هم على شاكلتهم ممن جرّوا الويلات على هذه الامة بتحكمهم في رقاب الناس ، وفي مقدراتهم .

ويظهر ان عثمان ـ بعد ورود كتاب معاوية عليه ـ وجد مبرراً للانتقام من أبي ذر ، وتأديبه كما يشتهي ، فكتب الى معاوية :

« أما بعد ، فاحمل جندبا الي على أغلظ مركب وأوعره . » [2]

(١) اليعقوبي ١٧٢/٢ .
(٢) الغدير ٢٩٣/٨ .

وَداع أهل الشّام لَه

أرسل معاوية الى أبي ذر ، فدعاه ، وأقرأه كتاب عثمان ، وقال له : النجاء الساعة !

فخرج أبو ذر الى راحلته فشدها بكورها وأنساعها ، فاجتمع اليه الناس ، فقالوا :

يا أبا ذر ، رحمك الله أين تريد ؟

قال : أخرجوني اليكم غضباً علي . وأخرجوني منكم الآن عبثاً بي ، ولا يزال هذا الامر فيما أرى ، شأنهم فيما بيني وبينهم ، حتى يستريح برّ ، أو يستراح من فاجر .

ومضى ، فسمع الناس بمخرجه فاتبعوه ، حتى خرج من دمشق ، فساروا معه حتى انتهى الى دير المرّان ، فنزل ، ونزل معه الناس ، فاستقدم ، فصلى بهم .

ثم قال : أيها الناس ، إني موصيكم بما ينفعكم ، وتارك الخُطب والتشقيق ، احمدوا الله عز وجل . قالوا : الحمد لله .

قال : اشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله .

فأجابوه بمثل ما قال :

فقال : أشهد أن البعث حق ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأقر

بما جاء من عند الله ، واشهدوا علي بذلك •

قالوا : نحن على ذلك من الشاهدين •

قال : ليبشر من مات منكم على هذه الخصال ، برحمة الله وكرامته ، ما لم يكن للمجرمين ظهيرا ، أو لأعمال الظلمة مصلحا ، أولهم معينا •

أيها الناس : إجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضبا لله عز وجل اذا عُصي في الارض ، ولا ترضوا أئمتكم بسخط الله • وإن أحدثوا ما لا تعرفون ، فجانبوهم ، وازروا عليهم وان عُذّبتم وحُرمتم وسُيّرتم حتى يرضى الله عز وجل ، فان الله أعلى وأجل ، لا ينبغي أن يُسخط برضا المخلوقين • غفر الله لي ولكم ، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله •

فناداه الناس : أن سلّم الله عليك ورحمك ، يا أبا ذر ، يا صاحب رسول الله ! ألا نردّك إن كان هؤلاء القوم أخرجوك ؟ ألا نمنعك ؟

فقال لهم : إرجعوا ، رحمكم الله ، فاني أصبر منكم على البلوى ، واياكم والفرقة والاختلاف [1] •

وهذه الرواية ، لا تتنافى مع الروايات الاخرى التي تؤكد على أنه حمل على ناقة مسنة ، بلا غطاء ولا وطاء ، حتى وصل الى المدينة وقد تسلخ فخذاه •

فان الغاية كانت ، هي الانتقام من أبي ذر شخصيا ، وفي وسع معاوية أن لا يثير على نفسه تساؤلات الناس ، وكبار الشاميين ممن عرف أبا ذر ، وأخذ منه وسمع عنه • فتركه يخرج من الشام بصورة طبيعية ، ثم بعد أن

(١) أعيان الشيعة ١٦/٣٥٦ ــ ٣٥٧ نقلا عن كتاب المجالس .

صار خارج حدودها نفذ فيه أمر عثمان ، فحمل على الصورة المعروفة •

وترك معاوية إتمام هـذه المأساة ، مأساة أبـي ذر الصحابي الجليل ليكملها غيره •

فحمل من المدينة الى الربذة ، حتى مات هناك وحيدا غريبا •

وبدوري ، فانني أترك للمؤرخين تفصيل ذلك •

الفصل الثالث

تسيير أبي ذر إلى الربذة
ووداع أمير المؤمنين علي عليه السلام له
كما وصفه المؤرخون

- مِنَ الشّام إلى المَدينَة إلى الرّبذَة
- في الرّبذَة
- بَين أبي ذَرّ وَحُذيفَة بن اليَمان
- يَمشي وَحدَهُ وَيموتُ وَحدَه
- المأساة

من الشام إلى المدينة إلى الربذة

روى البلاذري : [1]

لما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه ، وأعطى الحارث ابن الحكم إبن أبي العاص ، ثلاثمائة ألف درهم ، جعل أبو ذر يقول : بشر الكانزين بعذاب أليم ، ويتلو قول الله عز وجل : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، فبشرهم بعذاب أليم . » فرفع ذلك مروان بن الحكم الى عثمان . فأرسل الى أبي ذر ، ناتلا مولاه : أن انته عما يبلغني عنك .

فقال : أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله . وعيب من ترك أمر الله ؟ فوالله ، لئن أرضي الله بسخط عثمان ، أحب الي ، وخير لي ، من أن أسخط الله برضاه .

فاغضب عثمان ذلك ، واحفظه ، فتصابر ، وكف .

وقال عثمان يوما : أيجوز للامام أن يأخذ من المال ، فاذا أيسر قضى ؟

فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك !

فقال أبو ذر : يا ابن اليهوديين ، أتعلمنا ديننا ؟

(١) الغدير ٢٩٢/٨ ـ ٢٩٣ عن الانساب ٥٢/٥/٥٤ .

فقال عثمان : ما أكثر أذاك لي ، وأولعك بأصحابي ؟ إلحق بمكتبك ، وكان مكتبه بالشام ، إلا أنه كان يقـدم حاجا ، ويسأل عثمان الإذن له في مجاورة قبر رسول الله (ص) فيأذن له في ذلك ، وانما صار مكتبه بالشام ، لأنه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ سلعا[1] ، اني سمعت رسول الله يقول: اذا بلغ البناء سلعا ، فالهرب ، فاذن لي أن آتي الشام فأغزو هناك . فأذن له.

وكان ابو ذر ينكر على معاوية اشياء يفعلها ، وبعث اليه معاوية بثلاث مائة دينار ، فقال : إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا ؟ قبلتها! وان كانت صلة فلا حاجة لي فيها . وبعث اليه مسلمة الفهري بمائتي دينار، فقال : أما وجدت أهون عليك مني، حين تبعث الي بمال ؟ وردّها .

وبنى معاوية الخضراء بدمشق ، فقال : يا معاوية ، إن كـانت هـذه الدار من مال الله ؟ فهي الخيانة ، وان كانت من مالك ؟ فهـذا الاسراف . فسكت معاوية ، وكان ابو ذر يقول : والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، والله ما هي في كتاب الله ، ولا سنة نبيه . والله اني لأرى حقا يطفأ ، وباطلا يحيى ، وصادقا يكذب ، وأثرة بغير تقى ، وصالحا مستأثرا عليه .

فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية : ان أبا ذر مفسد عليك الشام ، فتدارك أهله إن كانت لكم به حاجة . فكتب معاوية الى عثمان فيه .

وجاء في شرح النهج :

عن جلاّم بن جندل الغفاري قال : كنت غلاما لمعاوية علـى قنسّرين والعواصم ، في خلافة عثمان ، فجئت اليه اسأله عن حال عملي ، اذ سمعت صارخا على باب داره يقول: أتتكم القطار ، تحمل النار ! اللهم العن الآمرين بالمعروف ، التاركين له ، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له .

---

(١) سَلع : موضع بقرب المدينة (معجم البلدان ــ ٣/٢٣٦) .

فازبأرّ [1] معاوية ، وتغير لونه وقال : يا جلاّم أتعرف الصارخ ؟ فقلت: اللهم لا .

قال : من عذيري من جندب بن جنادة ! يأتينا كل يوم ، فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت ! ثم قال : أدخلوه عليّ .

فجيء بأبي ذر بين قوم يقودنه ، حتى وقف بين يديه ، فقال له معاوية :

يا عدو الله وعدو رسوله ! تأتينا في كل يوم ، فتصنع ما تصنع ! أما إني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان ، لقتلتك ، ولكني أستأذن فيك .

قال جلاّم : وكنت أحب أن أرى أبا ذر ، لأنه رجل من قومي، فالتفت اليه ، فاذا رجل أسمر ضَرْب [2] من الرجال ، خفيف العارضين ، في ظهره جَنأ [3] فأقبل على معاوية وقال :

ما أنا بعدوّ لله ولا لرسوله ، بل أنت وأبوك عدوّان لله ولرسوله . أظهرتما الاسلام ، وأبطنتما الكفر . ولقد لعنك رسول الله (ص) ودعا عليك مرّات ألا تشبع .

سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا ولي الامة الأعين ، الواسع البلعوم ، الذي يأكل ولا يشبع ، فلتأخذ الامة حذرها منه .

فقال معاوية : ما أنا ذاك الرجل .

قال أبو ذر : بل أنت ذلك الرجل ، اخبرني بذلك رسول الله (ص) وسمعته يقول ـ وقد مررت به ـ : اللهم إلعنه ، ولا تشبعه الا بالتراب.. الخ ..

---

(١) ازبأرّ : غَضِب .
(٢) ضرب : الخفيف اللحم .
(٣) الجنأ : يقال جنىء ، جنأ ، اذا اشرف كاهله على ظهره حدبا .

فكتب عثمان الى معاوية : ان أحمل جندبا الي على اغلظ مركب ، وأوعره ، فوجه به مع من سار به الليل والنهار ، وحمله على شارف [١] ليس عليها إلا قتب حتى قدم به المدينة ، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد .

دخوله على عثمان

وفي رواية الواقدي : أن أبا ذر لما دخل على عثمان ، قال له :

لا أنعم الله بقين عينا   نعم ولا لقاه يوماً زينا
تحية السخط اذا التقينا

فقال أبو ذر : ما عرفت اسمي (قيناً) قط .

وفي رواية أخرى : لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب !

فقال أبو ذر : أنا جندب ، وسماني رسول الله (ص) عبدالله ، فاخترت اسم رسول الله (ص) الذي سماني به على اسمي .

فقال له عثمان : انت الذي تزعم أنا نقول : يد الله مغلولة ، وان الله فقير ونحن أغنياء !

فقال أبو ذر : لو كنتم لا تقولون هذا ، لأنفقتم مال الله على عباده ، ولكني أشهد أني سمعت رسول الله (ص) يقول : « اذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا ، جعلوا مال الله دُوَلا ، وعباده خَوَلا ، ودينه دَخَلا » .

فقال عثمان لمن حضر : أسمعتموها من رسول الله ؟

قالوا : لا .

قال عثمان : ويلك يا أبا ذر ! أتكذب على رسول الله ؟

---

(١) الشارف : الناقة المسنّة .

فقال أبو ذر لمن حضر : أما تدرون أني صَدقتُ !؟

قالوا : لا والله ، ما ندري .

فقال عثمان : ادعوا الي عليا . فلما جاء ، قال عثمان لأبي ذر : أقصص عليه حديثك في بني العاص . فأعاده .

فقال عثمان لعلي عليه السلام : أسمعت هذا من رسول الله (ص) .

قال : لا . وقد صَدق أبو ذر .

فقال : كيف عرفت صِدقهُ ؟

قال : لأني سمعت رسول الله يقول : « ما أظلّت الخضراء ، ولا أقلّت الغبراء ، من ذي لهجة أصدقُ من أبي ذَرٍّ . »

فقال من حضر : أما هذا ، فسمعناه كلّنا من رسول الله .

فقال أبو ذر : أحدثكم اني سمعت هذا من رسول الله (ص) فتتهموني ! ما كنت أظن اني أعيش حتى اسمع هذا من أصحاب محمد [1] .

وجاء في رواية الواقدي ، عن صهبان مولى الاسلميين .

قال : رأيت أبا ذر يوم دُخل به على عثمان . فقال له : أنت الذي فعلت ، وفعلت !؟

فقال ابو ذر : نصحتك فاستغششتني، و نصحت صاحبك، فاستغشني!

قال عثمان : كذبت ، ولكنك تريد الفتنة ، وتحبها ، قد انغلت [2] الشام علينا .

فقال أبو ذر : اتبع سنة صاحبيك ، لا يكن لأحد عليك كلام .

فقال عثمان : مالك وذلك ، لا أمّ لك !

(١) شرح النهج ٨ ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨ ــ ٢٥٩ و ج ٣ منه .
(٢) النغل : الافساد بين القوم .

قال أبو ذر : والله ما وجدت لي عذرا ، إلا الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ٠

فغضب عثمان ، وقال : اشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب ، إما ان أضربه ، أو أحبسه ، أو أقتله ، فانه قد فرّق جماعة المسلمين ، أو أنفيه من أرض الاسلام ٠

فتكلم علي عليه السلام — وكان حاضرا — فقال :

أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون « فان يَكُ كاذِباً فَعَلَيهِ كَذِبُه ، وإن يَكُ صادقاً ، يُصِبكُم بَعض الذي يَعِدُكم ، إن الله لا يهدي مَن هُو مُسرِف كذّاب ٠ »

فأجابه عثمان بجواب غليظ ٠ وأجابه علي عليه السلام بمثله [1] ٠٠

وجاء في مروج الذهب :

وكان في ذلك اليوم قد أتـي عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال ، فنثرت البدر ، حتى حالت بين عثمان وبين الرجل الواقف، فقال عثمان :

إني لأرجو لعبد الرحمن خيرا ، لأنه كان يتصدق ، ويقري الضيف ، وترك ما ترون ٠

فقال كعب الاحبار : صدقت يا أمير المؤمنين ٠

فشال أبو ذر العصا ، فضرب بها رأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الألم ، وقال :

يا ابن اليهودي ، تقول لرجل مات وترك هذا المال إن الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة ، وتقطع على الله بذلك ، وانا سمعت النبي (ص) يقول:

---

(١) نفس المصدر السابق .

ما يسرني أن أموت ، وأدع ما يزن قيراطاً[1] .

قال الواقدي : ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ، أو يكلموه ، فمكث كذلك أياماً .

ثم أتي به ، فوقف بين يديه ، فقال أبو ذر : ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله (ص) ورأيت أبا بكر وعمر ! هل هديك كهديهم ، أما إنك لتبطش بي بطش جبار !.

فقال عثمان : أخرج عنا من بلادنا ـ[2] الى آخر الرواية .

وفي مروج الذهب :

فقال له عثمان : وار عني وجهك .

فقال : أسير الى مكة . قال : لا والله ؟

قال : فتمنعني من بيت ربي أعبده فيه حتى أموت ؟ قال : إي والله .

قال : فالى الشام ، قال : لا والله .

قال : البصرة . قال : لا والله ، فاختر غير هذه البلدان .

قال : لا والله ما اختار غير ما ذكرت لك . ولو تركتني في دار هجرتي ، ما أردت شيئا من البلدان ، فسيرني ، حيث شئت من البلاد .

قال : فاني مسيرك الى الربذة .

قال : الله أكبر ، صدق رسول الله (ص) قد أخبرني بكل ما أنا لاق .

قال عثمان : وما قال لك ؟

قال : اخبرني بأني أمنع عن مكة ، والمدينة ، وأموت بالربذة ، ويتولى

---

(١) مروج الذهب ٢/٣٤٠ .
(٢) شرح النهج ٨/٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

مواراتي نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز [١] .

نفيه الى الربذة

جاء في شرح النهج ، عن ابن عباس ، قال :

لما أخرج أبو ذر الى الربذة ، أمر عثمان ، فنودي في الناس : ألاّ يكلم أحد أبا ذر ، ولا يشيّعه وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به . فخرج به ، وتحاماه الناس . إلا عليّ ابن ابي طالب عليه السلام وعقيلا أخاه ، وحسنا وحسينا عليهما السلام ، وعمارا فانهم خرجوا معه يشيعونه .

فجعل الحسن عليه السلام ، يكلم أبا ذر ..

فقال له مروان : إيها يا حسن ، ألا تعلم ان أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل ؟! فان كنت لا تعلم ، فاعلم ذلك .

فحمل علي عليه السلام على مروان ، فضرب بالسوط بين أذني راحلته، وقال : تنحَّ ، لَحَاكَ الله الى النار !

فرجع مروان مغضبا الــى عثمان ، فأخبره الخبر ، فتلظى علــى عليّ (عليه السلام) [٢] .

كلام الامام (ع) لابي ذر

وودع علي عليه السلام أبا ذر (رض) قائلا له :

يا أبا ذر ، انك غضبت لله ، فأرجُ من غضبتَ له إن القومَ خافوك

---

(١) مروج الذهب ٢/٣٤٠ ــ ٣٤١ .
(٢) شرح النهج ٨/٢٥٢ ــ ٢٥٣ .

على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه ، واهرب منهم بما خفتهم عليه ، فما أحوجهم الى ما منعتهم ، واغناك عما منعوك !

وستعلم من الرابح غدا ، والأكثر حسدا ، ولو أن السموات والأرضين كانتا على عبد رتقاً ، ثم اتقى الله ، لجعل الله له منهما مخرجا .

لا يؤنسنك الا الحق ، ولا يوحشنك إلا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لأحبوك ولو قرضت منها لأ منوك [1] .

وجاء في رواية ابن عباس : عن ذكوان ــ وكان حافظاً ــ . كما في شرح النهج .

قال ذكوان : فحفظت كلام القوم . فقال علي عليه السلام : يا أبا ذر، انك غضبت لله ، إن القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فامتحنوك بالقلى ، ونفوك الى الفلا . والله لو كانت السموات .. الخ.

ثم قال علي عليه السلام لأصحابه : « ودعوا عمكم ، وقال لعقيل : ودع أخاك .

كلام عقيل

فتكلم عقيل : فقال : ما عسى أن نقول يا أبا ذر ، وأنت تعلم أنا نحبك ، وأنت تحبنا ! فاتق الله ، فان التقوى نجاة ، وإصبر ، فان الصبر كرم وإعلم أن إستثقالك الصبر ، من الجزع . واستبطاءك العافية ، من اليأس ، فدع اليأس والجزع .

(١) نهج البلاغة ٢/ ص ١٢ ــ ١٣ .

كلام الحسن (ع)

ثم تكلم الحسن ، فقال : يا عمّاه ، لولا أنه لا ينبغي للمودّع أن يسكت ، وللمشيّع أن ينصرف لقصر الكلام ، وإن طال الأسف ، وقد أتى القوم اليك ما ترى ، فضَع عنك الدنيا ، بتذكر فراغها وشدّة ما اشتد منها ، برجاء ما بعدها ، وإصبر حتى تلقى نبيّك (ص) وهو عنك راض .

كلام الحسين (ع)

ثم تكلم الحسين (ع) فقال: يا عمّاه، ان الله تعالى قادر أن يغيّر ما قد ترى ، والله كلّ يوم هو في شأن ، وقد منَعَك القوم دنياهم ، ومنعتهم دينَك ، فما أغناك عمّا منعوك ، واحوجهم الى ما منعتهم ! فاسأل الله الصبرَ والنصرَ واستعذ به من الجشع والجزع ، فان الصبرَ من الدين والكرم ، وان الجشع لا يُقدّم رزقاً ، والجزع لا يؤخّر أجلا .

كلام عمّار بن ياسر

ثم تكلم عمار ــ رحمه الله ــ مغضباً ، فقال :

لا آنس الله من أوحشَك ، ولا آمنَ مَن أخافك ، أما والله ، لو أردتَ دنياهم ، لأمنّوك ، ولو رضيت أعمالهم ، لأحبّوك ، وما منع الناسَ أن يقولوا بقولك ، إلا الرضا بالدنيا ، والجزع من الموت ، مالوا الى ما سلطان جماعتهم عليه ، والملكُ لمن غَلب ، فوهبوا لهم دينهم ، ومنحهم القوم دنياهم ، فَخسِروا الدنيا والآخرة ، ألا ذلك هو الخسران المبين !

كلام ابي ذر (رض)

فبكى أبو ذر رحمه الله ــ وكان شيخا كبيرا ــ وقال :

رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة ! اذا رأيتكم ، ذكرت بكم رسول الله (ص) مالي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم ، إني ثقلتُ على عثمان بالحجاز ، كما ثقلتُ على معاوية بالشام . وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصرين ، فأفسد الناس عليهما ، فسيّرني الى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله ! والله ما أريد إلا الله صاحباً ، وما أخشى مع الله وحشة.

بين علي (ع) وعثمان

ورجع القوم الى المدينة ، فجاء علي (عليه السلام) الى عثمان ، فقال له :

ما حملك على ردّ رسولي ، وتصغير أمري !؟

فقال علي (ع) : أما رسولك ، فأراد أن يردّ وجهي ، فرددته ، وأما أمرك ، فلم أصغّره .

قال : أما بلغك نهيي عن كلام ابي ذر !؟

قال (ع) : أو كلما أمرت بأمر معصية ، أطعناك فيه !

قال عثمان : أقِد مروان من نفسك .

قال : ممّ ذا ؟

قال : من شتمه ، وجذبِ راحلته .

قال : أما راحلته ، فراحلتي بها ، وأما شتمه إياي ، فوالله لا يشتمني شتمة ، إلا شتمتك مثلها ، لا أكذب عليك .

فغضب عثمان ، وقال : لِم لا يشتمك ؟! كأنك خير منه !

قال علي (ع) : إي والله ، ومِنكَ ! ثمّ قام ، فخرج [١] .

وبلغ أبا الدرداء * — وهو في الشام — ان عثمان قد سيَّر أبا ذر الى الربذة ، فقال : « إنا لله وانا اليه راجعون ، لو أن أبا ذر قطع لـي عضوا أو يدا ، ما هجته ، بعد ان سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر [٢] »

---

(١) شرح النهج ٢٥٣/٨ الى ٢٥٥ .

* انصاري ، واسمه عامر ، كان مصاحبا لابي ذر .

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣٤٤/٣ .

في الـرّبـذَة

عن أبي الاسود الدؤلي ، قال :

كنت أحب لقاء أبي ذر ، لاسأله عن سبب خروجه الى الربذة ، فجئته، فقلت له :

ألا تخبرني ، أخرجت من المدينة طائعا ، أم أخرجت كرها ؟

فقال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغني عنهم ، فأُخرجتُ الى المدينة ! فقلت : دار هجرتي وأصحابي ! فأخرجت من المدينة الى ما ترى !.

ثم قال : بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد ، على عهد رسول الله (ص)، اذ مرَّ بي عليه السلام فضربني برجله ، وقال : لا أراك نائما في المسجد .

فقلت : ـ بأبي انت وأمي ـ غلبتني عيني ، فنمتُ فيه .

قال : فكيف تصنع ، اذا أخرجوك منه ؟

قلت : الحق بالشام ، فانها أرض مقدَّسة ، وأرض الجهاد .

قال : فكيف تصنع اذا أخرجتَ منها ؟

قلت : أرجع الى المسجد !

قال : فكيف تصنع اذا أخرجوك منه ؟

قلت : آخذ سيفي ، فأضربهم به •

فقال : ألا أدلك على خير من ذلك ؟ إنسق معهم حيث ساقوك ، وتسمع وتطيع ، فسمعت وأطعت ، وأنا أسمع وأطيع ! والله ليلقيَن الله عثمان ، وهو آثم في جنبي [١] •

وفي حلية الاولياء ، بسنده عن عبدالله بن خراش ، قال :

رأيت أبا ذر بالربذة ، في ظلّة له سوداء ، له امرأة سحماء ، وهو جالس على قطعة جوالق • فقيل له : انك إمرؤ ما يبقى لك ولد ؟

فقال : الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ، ويدّخرهم في دار البقاء •

قالوا : يا أبا ذر ، لو اتخذت امرأة غير هذه ؟

قال : لئن أتزوج امرأة تضعني ، أحب اليّ من امرأة ترفعني •

فقالوا : لو اتخذت بساطا ألين من هذا ؟

قال : اللهم غفرا ! خذ مما خوّلتَ ، ما بدا لك [٢] •

ودخل عليه قوم من أهل الربذة • فقالوا : يا أبا ذر ! ما تشتكي ؟ قال: ذنوبي !

قالوا : فما تشتهي ؟

قال : رحمةَ ربي •

قالوا : هل لك بطبيب •؟

---

(١) شرح النهج ٨/٢٦٠–٢٦١ •
(٢) الاعيان ٣٢٩ •

قال : الطبيبُ أمرضني [١] .!!

كلامه (رض) على قبر ولده

روى الكليني في الكافي ، بسنده عن علي بن ابراهيم ، رفعه ، قال :

لما مات ذر بن ابي ذر ، مسح ابو ذر القبر بيده ، ثم قال :

رحمك الله يا ذر ، والله إن كنت بي بارا ، ولقد قُبِضتَ واني عنك لراض، أما والله ما بي فقدُك وما علي من غضاضة[٢] وما لي الى أحد سوى الله من حاجة ، ولولا هول المطّلع ، لسرني أن أكون مكانك ، ولقد شغلني الحزن لك، عن الحزن عليك، والله ما بكيت لك ! ولكن بكيت عليك، فليت شعري ماذا قلتَ ؟ وماذا قيل لك ؟

ثم قال : اللهم إني قد وهبت له ما افترضتَ عليه من حقي ، فَهب له ما افترضتَ عليه من حقك ، فأنت أحق بالجود مني [٣] .

(١) المصدر السابق / ٣٧٣ .
(٢) ما بي فقدك : اي ليس علي بأس وحزن من فقدك .
(٣) الفروع من الكافي ج ٣ / ٢٥٠ ــ ٢٥١ .

بين أبي ذرّ وحُذيفة بن اليمان

ما كتبه أبو ذر ، الى حُذَيفَة بن اليمان يشكو اليه ما فعل به

في كتاب الفصول للسيد المرتضى ، عن أبي مخنف ، قـال : حدثني الصلت ، عن زيد بن كثير ، عن ابي أمامة . قال : كتب أبو ذر الـى حذيفة بن اليمان يشكو اليه ما صنع به عثمان .

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد يا أخي . فَخَفْ الله مخافة يكثر منها بكاء عينيك ، وحرّر قلبك ، وأسهر ليلك ، وانصَبْ بدنك في طاعة الله . فحق لمن عَلِم أن النار مثوى من سخط الله عليه ، أن يطول بكاؤه ، ونَصَبُه ، وسهرُ ليله ، حتى يعلم أنه قد رضي الله عنه . وحق لمن علم أن الجنة مثوى مـن رضي الله عنه ، أن يستقبل الحق كي يفوز بها ، ويستصغرَ في ذات الله الخروج من أهله وماله ، وقيام ليله ، وصيام نهـاره ، وجهـاد الظالمين الملحدين بيده ولسانه ، حتى يعلم ان الله أوجبها له ، وليس بعالِم ذلك دون لقاء ربّه . وكذلك ينبغي لكل من رغب في جوار الله ، ومرافقة انبيائه ، أن يكون .

يا أخي ، أنت ممن أستريح الى التصريح اليه ببثي وحزني ، وأشكو اليه تظاهر الظالمين علي .

إني رأيت الجور ــ يعمل به ــ بعيني ، وسمعته يقال ، فرددته ، فحُرمت العطاء ، وسُيِّرت الى البلاد ، وغُرِّبت عن العشيرة والاخوان ، وحَرَم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأعوذ بربي العظيم أن يكون مني هذا شكوى ، أن رُكب مني ما رُكب ، بل انبأتك أني قد رضيت ما أحب لي ربي ، وقضاه علي ، وأفضيت ذلك اليك ، لتدعوَ الله لي ، ولعامّة المسلمين بالروح والفرج ، وبما هو أعم نفعا ، وخير مغبّة وعقبى ــ والسلام .

جواب حذيفة له

فكتب اليه حذيفة :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ يا أخي . فقد بلغني كتابك ، تُخوّفني به ، وتحذّرني فيه منقلَبي ، وتحثني فيه على حظ نفسي ، فقديما ــ يا أخي ــ ما ، كنت بي ، وبالمؤمنين حفيّاً لطيفا . وعليهم حدِبا شفيقا . ولهم بالمعروف آمِرا ، وعن المنكرات ناهيا ، وليس يهدي الى رضوان الله إلا هو ، ولا يُتناهى من سخطه الا بفضل رحمته ، وعظيم منّه . فنسأل الله ربنا ــ لأنفسنا وخاصّتنا ، وعامّتنا ، وجماعة أمّتنا ــ مغفرة عامة ، ورحمة واسعة ، وقد فهمتُ ما ذكرتَ من تسييرك ، يا أخي ، وتغريبك ، وتطريدك ، فعزّ والله عليّ يا أخي ، ما وصل اليك من مكروه ولو كان يُفتدى ذلك بمال ، لأعطيتُ فيه مالي ، طيّبة بذلك نفسي ، ليصرَف الله عنك ــ بذلك ــ المكروه . والله ، لو سألتُ لك المواساة ، ثم أعطيتُها لأحببت احتمال شطر ما نزل بك ، ومواساتك في الفقر ، والأذى ، والضرر . لكنه ، ليس لأنفسنا ، إلا ما شاء ربنا . يا أخي ، فافزع بنا الى ربنا ، ولنجعل اليه رغبتنا،

فقد استحصدنا ! واقترب الصّرام [١] . فكأني ، واياك ، قد دعينا فأجبنا ! وعرضنا على أعمالنا ، فاحتجنا الى ما أسلفنا ! يا أخي : ولا تأسَ على ما فاتك ، ولا تحزن على ماأصابك ، واحتسب فيه الخير ، وارتقب فيه من الله أسنى الثواب . يا أخي : لا أرى الموت لي ولك ، إلا خيرا من البقاء ، فانه قد أظلتنا فتن يتلو بعضها بعضا ، كقطع الليل المظلم ، قد انبعثت من مركبها ، ووطئت في خطامها ، تشهر فيها السيوف ، وتنزل فيها الحتوف ! يقتل فيها من اطلع لها ، والتبس بها ، وركض فيها ، ولا يبقى قبيلة من قبائل العرب ، من الوبر والمدر ، إلا دخلت عليهم ! فأعزّ أهل ذلك الزمان ، أشدهم عتوّاً! وأذلّهم ، اتقاهم ! فأعاذنا الله واياك ، من زمان هذه حال أهله .

لن أدَعَ الدّعاء لك ، في القيام والقعود ، والليل والنهار ، وقد قال الله ، ولا خُلف لموعده : أدعوني ، أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ، فنستجير بالله من التكبّر عن عبادته ، والاستنكاف عن طاعته ، جعل الله لنا ولك فرجاً ، ومخرجا عاجلا برحمته ، والسلام [٢] .

(١) الصرّام للنخل : اوان ادراكه وجزّه .
(٢) أعيان الشيعة ١٦/٣٦٦–٣٦٨ .

يَمشي وَحْدَهُ وَيموتُ وَحْدَه

« صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم »

حين استعدّ النبي صلى الله عليه وآله لمحاربة الروم قاصدا « تبوك » من أرض الشام ، كان الفصل قائضا شديد الحرارة . وكان العدو شديد البأس ، كثير العدّة والعدد ، مما دعا نفرا من المتاخذلين — ممن أسلم رهبة أو رغبة — الى القعود ، والتخلف عن الجهاد .

وتابع المسلمون سيرهم بكل ثقة وشجاعة ، وانتهى الامر بالصلح مع الروم على دفع الجزية .

فقد ألقى الله في قلوب زعمائهم الهيبة ، لما تناهى الى أسماعهم من أنباء الانتصارات الساحقة التي سجلها المسلمون في أكثر من موقع بالرغم من قلتهم ، ولما سمعوه عن بسالة المقاتل المسلم ، واستماتته في سبيل الدفاع عن اسلامه واضعا نصب عينيه الجنة ، قاتلا أو مقتولا . لذلك ، فقد آثروا الانسحاب على المواجهة .

ووجّه النبي (ص) الى يوحنا بن رؤبة — أحد زعماء المنطقة — رسالة يدعوه فيها الى الاسلام ، أو دفع الجزية ، فقدم على النبي (ص) حاملا الهدايا ، ومعلنا الطاعة . فصالحه (ص) على الجزية ، في كل سنة ثلاثمائة

دينار ، كما صالحه على ذلك أهل المناطق الاخرى ، وكتب (ص) بينه وبينهم كتبا تتضمن شروط الصلح بما يحفظ للمسلمين حقهم في الجزية ، والتجول في تلك المنطقة ، آمنين علــى انفسهم وأموالهم ، ويضمن لأصحاب تلــك المناطق حرية العقيدة ، والعيش مع جيرانهم المسلمين بأمان .

في هذه الغزوة ، تخلف بأبي ذر جمله ، فعالجه حتى أعياه أمره ، فأخذ رحله عنه ، وحمله على ظهره ، وتابع سيره ماشيا على قدميه .

« ونظر الناس ، فقالوا : يا رسول الله ، هذا رجل على الطريق وحده .
فقال رسول الله (ص) : كن أبا ذر !

فلما تأمله الناس ، قالوا : هو أبو ذر .

فقال رسول الله (ص) : يرحم الله أبا ذر ، يمشــي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ، ويشهده عصابة من المؤمنين .

فلما نفى عثمان أبا ذر الى الربذة ، أصابه بها أجله ، ولم يكن معه الا امرأته وغلامه [١] .

---

(١) الكامل ٢ / ٢٨٠ .

المـأسـاة

عن أم ذر زوجة أبي ذر ، قالت : لما حضرت أبـا ذر الوفاة ، بكيت . فقال : ما يبكيك ؟

فقلت : مالي لا أبكي ، وأنت تموت بفلاة من الارض وليس عندي ثوب يسعك كفنا ، لي ولا لك . ولا يد لي للقيام بجهازك !

قال : فأبشري ، ولا تبكي ، فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان ، أو ثلاثة ، فيصبران ، ويحتسبان ، فيريان النار أبدا .

وقد مات لنا ثلاثة من الولد !

واني سمعت رسول الله يقول لنفر أنا فيهم : ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض ، يشهده عصابة من المؤمنين ! وليس من أولئك النفر أحد ، إلا وقد مات في قرية ، أو جماعة . (ولم يبق غيري ، وقـد أصبحت بالفلاة أموت [1]) فأنـا ذلـك الرجـل ، فوالله ما كَذِبت ، ولا كُذبت فأبصري الطريق .

قلت : أنى ؟ وقد ذهب الحاج ، وتقطعت الطريق .

---

(١) كذا في اعيان الشيعة ٣٦٨/١٦ .

قال : اذهبي ، فتبصّري .

قالت : فكنت أشتد الى الكثيب ، فانظر ! ثم أرجع اليه ، فأمرّضه . فبينما أنا وهو كذلك ، اذ أنا برجال على رحالهم ، كأنهم الرّخَم * ، تخب بهم رواحلهم ، فأسرعوا الي ،حتى وقفوا علي ، فقالوا :

يا أمة الله ، مالكِ ؟

قلت : إمرؤ من المسلمين ، يموت ! تكفنونه ، « وتؤجرون فيه » [١] .

قالوا : ومن هو ؟ قلت : أبــو ذر !. قالوا : صاحب رســول الله !؟ قلت : نعم .

قالت : فَفدّوه بأبائهم ، وأمهاتهم ، ثم (وضعوا سياطهم في نحورها). وأسرعوا اليه حتى دخلوا عليه [٢] .. الخ الرواية .

وفي رواية الكشي ، عن جلاّم بن ذر . وكان له صحبة (مــع رسول الله) قال :

مكث ابو ذر في الربذة حتى مات ، فلما حضرته الوفاة ، قال لامرأته : اذبحي شاة من غنمك واصنعيها ، فاذا نضجت ، اقعدي على قارعة الطريق ، فأول ركب ترينهم ، قولي :

يا عباد الله المسلمين ، هذا أبو ذر صاحب رسول الله (ص) وقد قضى نحبه ، ولقي ربه ، فأعينوني عليه ، وأجنوه ، فان رسول الله (ص) أخبرني اني أموت في أرض غربة ، وانه يلي غسلي ودفني والصلاة علي رجال مــن أمته صالحون .

* الرّخَم : طائر على شكل النسر مبقع بسواد وبياض .
(١) كذا في اعيان الشيعة .
(٢) الاستيعاب ، حاشية على الاصابة ٢١٤/١ الى ٢١٦ .

عن محمد بن علقمة بن الاسود النخعي ، قال : خرجت في رهط أريد الحج ، منهم مالك بن الحارث الأشتر ، وعبدالله بن فضل التيمي ، ورفاعة بن شداد البجلي ، حتى قدمنا الربذة ، فاذا امرأة على قارعة الطريق تقول :

يا عباد الله المسلمين ، هذا أبو ذر صاحب رسول الله (ص) قد هلك غريبا ليس أحد يعينني عليه !

فنظر بعضنا الى بعض ، وحمدنا الله على ما ساق الينا ، واسترجعنا على عظيم المصيبة . ثم أقبلنا معها فجهزناه ، وتنافسنا في كفنه حتى خرج من بيننا بالسواء ، ثم تعاونا على غسله ، حتى فرغنا منه ، ثم قدمنا مالك الأشتر فصلى عليه ، ثم دفناه .

فقام الأشتر على قبره ثم قال : اللهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله (ص) عبدك في العابدين وجاهد فيك المشركين ، لم يغير ولم يبدل ، لكنه رأى منكرا فغيّره بلسانه وقلبه حتى جفي ونفي ، وحرم واحتقر ، ثم مات وحيدا غريبا ، اللهم فاقصم من حرمه ونفاه من مهاجره ، وحرم رسول الله (ص) .

فرفعنا أيدينا جميعا ، وقلنا : آمين .

فقدمت الشاة التي صنعت ، فقالت أنه أقسم عليكم أن لا تبرحوا ، حتى تتغدوا فتغدينا ، وارتحلنا[1] .

« رواية ثانية حول كيفية وفاته »

في تفسير علي بن ابراهيم في تتمة خبره في غزوة تبوك :

---

(١) اعيان الشيعة / ٣٧٢ نقلا عن الدرجات الرفيعة . و ٣٧٣ .

فلما سيّره عثمان الى الربذة ، كان له غنيمات يعيش هو وعياله منها، فأصابها داء يقال له النقاب، فماتت كلها . فأصاب أبا ذر وابنتــه الجوع ، فقالت ابنته :

أصابنا الجوع وبقينا ثلاثة أيام لم نأكل شيئا ! فقال لي أبي : يا بنية ، قومي بنا الى الرمل ، نطلب العبب (نبت له حب) فصرنا الى الرمل ، فلم نجد شيئا ، فجمع أبي رملا ، ووضع رأسه عليه ، ورأيت عينيه قد انقلبتا ، فبكيت ، فقلت له ، يا أبه كيف أصنع بك ، وأنا وحيدة ؟

فقال : يا بنيتي لا تخافي ، فاني اذا مت ، جاءك من أهل العراق مــن يكفيك أمري ، فاني أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك ، فقال لي : يا أبا ذر تعيش وحدك ، وتموت وحدك ، وتدخل الجنة وحدك ، يسعد بك أقوام من أهل العراق، يتولون غسلك ، وتجهيزك، ودفنك ، فاذا أنا مت فمدي الكساء على وجهي ، ثم اقعدي علــى طريــق العراق ، فاذا أقبل ركب ، فقومي اليهم وقولي :

ــ هذا ابو ذر صاحب رسول الله قد توفي .

قالت : فدخل اليه قوم من أهل الربذة ، فقالوا : يا أبا ذر ، ما تشتكي؟ قال : ذنوبي ! قالوا : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي ! قالوا : هل لك بطبيب؟ قال : الطبيب أمرضني !!

قالت ابنته : فلما عاين ، سمعته يقول : مرحبا بحبيب أتى على فاقة ، لا أفلح من ندم ! اللهم خنقني خناقك ، فوحقك إنك لتعلم أني أحب لقاءك .

قالت ابنته : فلما مات ، مددت الكساء على وجهه ، ثــم قعدت على

طريق العراق ، فجاء نفر ، فقلت لهم : يـا معشر المسلمين ، هـذا أبو ذر ، صاحب رسول الله (ص) قد توفي •

فنزلوا ، ومشوا يبكون ، فجاؤا ، فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه ، وكان فيهم الأشتر •

فروي انه قـال : دفنته فـي حلّة كانت معـي ، قيمتها أربعة آلاف درهم [١] •

---

(١) اعيان الشيعة / ٣٧٢ نقلا عن الدرجات الرفيعة و ٣٧٣ •

الفَصْل الرّابع

- أبو ذَرّ على لِسَان النّبي الكَريم (ص)
- بَين النّبي وَأبي ذَرّ
- أبوذَرّ العَالِم
- الزّاهِد المتعبّد
- مِن فَضَائِله
- مِن كَلاَمه
- وَصفه لآخر الزمَان

أبو ذَرّ على لِسَان النّبي الكَريم (ص)

نستعرض هنا ، ما جاء على لسان النبي (ص) بشأن هـذا الصحابي الجليل من كلمات مضيئة هي بمثابة أوسمة منحها اياه النبي الكريم (ص) باستحقاق وجدارة . ونقتصر هنا على ذكر الرواية بذلك، دون ذكر السند.

قال (ص) : ما أظلَّتِ الخضراء ، ولا أقلَّتِ الغَبراءُ من ذي لهجة أصدقُ ، ولا أوفى من أبي ذر ، شِبهُ عيسى بن مريم .

وفي لفظ آخر : ما أظلّت الخضراء ، ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة، أصدق من أبي ذر ، من سرّه أن ينظر الى زُهدِ عيسى بن مريم ، فلينظر الى أبي ذر .

من أحبّ أن ينظرَ الى المسيح عيسى بن مريم ، الى بـره وصدقه ، وجدّه ، فلينظر الى أبي ذر .

إن أبا ذر ليباري عيسى بن مريم في عبادته .

رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده .

إن الله عز وجل أمرني بحبّ اربعة ، وأخبرني انـه يحبّهم : عليّ ، وأبو ذر ، والمقداد وسلمان .

عن أبي ذر قال ، قال رسول الله (ص) : يا أبا ذر ! كيف أنت اذا كنت في حثالة ؟ وشبك بين أصابعه . قلت : يا رسول الله ! فما تأمرني ؟ قال : إصبر . إصبر . إصبر . خالقوا الناس بأخلاقهم ، وخالفوهم في أعمالهم .

عن أبي ذر أيضا ، قال : بينا أنا واقف مع رسول الله (ص) فقال لي : يا أبا ذر ، أنت رجل صالح ، وسيصيبك بلاء بعدي ! قلت : في الله؟ قال : في الله . قلت : مرحبا بأمر الله .

عن أبي ذر قال : قال النبي (ص) : يا أبا ذر ! كيف أنت اذا كانت عليك أمراء يستأثرون بالفيء ؟ قال : قلت : اذاً ، والذي بعثك بالحق ، أضرب بسيفي حتى ألحق بك . فقال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك .؟ إصبر حتى تلقاني [1] .

(١) هذه الاحاديث اخذناها عن المستدرك ج ٣ ص ٣٤٢ و ٣٤٣ / وعن الغدير ج ٨ ص ٣١٢ الى ٣١٦ .

بَيْنَ النّبي وَأبي ذَرّ

قال أبو ذر : ودخلت على رسول الله (ص) ، وهو في المجلس جالس وحده ، فاغتنمت خلوته !

فقال : يا أبا ذر ، إن للمسجد تحيّةً !

قلت: وما تحيته يا رسول الله ؟

قال : ركعتان . فركعتهما . ثم التفتّ اليه ، فقلت : يا رسول الله ، أي الاعمال أحبّ الى الله جلّ ثناؤه ؟

فقال (ص) : الإيمان بالله ، ثم الجهاد في سبيله .

قلت : يا رسول الله ، أمرتني بالصلاة ، فما الصلاة ؟

قال : خير موضوع ، فمن شاء أقلّ ، ومن شاء أكثر !

قلت : يا رسول الله ، أي المؤمنين ، اكمل إيماناً ؟

قال : أحسنهم خُلقاً .

قلت : فأيّ المؤمنين أفضل ؟

قال : من سَلِمَ المسلمون من يده ولسانه !

قلت : فأيّ الهجرة أفضل ؟

قال : من هجر الشر !

قلت : فأيّ الليل أفضل [١] ؟

قال : جوف الليل الغابر !.

قلت : فأي الصلاة أفضل ؟

قال : طول القنوت !

قلت : فأي الصدقة أفضل ؟

قال : جَهد [٢] من مُقلّ الى فقير في سر .

قلت : فما الصوم ؟

قال : فرض مجزيء . وعند الله أضعاف ذلك .

قلت : فأيّ الرقاب أفضل ؟ [٣]

قال : أغلاها ثمنا ، وأنفسها عند أهلها .

قلت : فأي الجهاد أفضل ؟

قال : من عقر جواده ، وأهريق دمه !

قلت : فأيّ آية انزلها الله عليك أعظم ؟

قال : أية الكرسي ! ثم قال : يا أبا ذر ، مالسموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة ! وفضل العرش على الكرسي ، كفضل الفلاة على تلك الحلقة .

قلت : يا رسول الله ، كم النبيون ؟

قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي !

---

(١) يعني : للعبادة .

(٢) جُهد المقل : قدر ما يحتمله قليل المال .

(٣) للعتــق .

قلت : كم المرسلون منهم ؟

قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر ! جمًّا غفيرا * •

قلت : من كان أول الأنبياء ؟

قال : آدم •

قلت : وكان من الانبياء مرسلا ؟

قال : نعم ! خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه • ثم قال : يا أبا ذر ! وأربعة من الأنبياء سريانيون • آدم ، وشيث ، وأخنوخ (وهو إدريس) وهو أول من خط بالقلم ، ونوح • وأربعة من الانبياء من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونبيك محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) • وأول نبي من بني اسرائيل : موسى ، وآخرهم : عيسى بينهما ستمائة نبي •

قلت : يا رسول الله ، كم أنزل الله من كتاب ؟

قال : مائة كتاب ، وأربعة كتب • أنزل الله على شيث ، خمسين صحيفة • وعلى إدريس ثلاثين صحيفة ، وعلى ابراهيم ، عشرين صحيفة ، وانزل التوراة ، والانجيل ، والزبور ، والفرقان •

قال ، قلت : يا رسول الله ، فما كانت صُحُف ابراهيم ؟

قال : كانت أمثالا كلها ! وفيها : ـــ أيُّها الملِكُ المتسلِّط ، المبتلى ، المغرور • إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ، ولكن بعثتك لتردّ دعوة المظلوم ، فاني لا أردّها ، وان كانت من كافر أو فاجر !! وفجوره على نفسه •

وكان فيها : على العاقل ـــ ما لم يكن مغلوبا على عقله ـــ ان يكون له

* الجم الغفير ، هنا : الكثير البركة .

ساعات ، ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يصرفها في صنع الله تعالى ، وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدّم وأخّر ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال في المطعم والمشرب . فانّ هذه الساعة عون لتلك الساعات واستجمام للقلوب ، وتوديع لها ؟ وعلى العاقل أن يكون طالبا لثلاث : تزوّد لمعاد . أو مرمّة لمعاش . أو لذة في غير محرّم . وعلى العاقل ، أن يكون بصيرا بزمانه ، مقبلا على شأنه ، حافظا للسانه . ومن حسب كلامه من عمله ، قلّ كلامه إلا فيما يعنيه .

قلت : يا رسول الله ، ما كانت صحف موسى (ع) ؟

قال : كانت اعتبارا كلها !

عجباً لمن أيقن بالنار ، كيف يضحك ؟! عجباً لمن أيقن بالموت ، كيف يفرح !؟ عجبا لمن أبصر الدنيا ، وتقلّبها بأهلها حالا بعد حال ، ثم يطمئن اليها !؟ عجباً لمن أيقن بالحسنات غدا ، كيف لا يعمل !؟

قلت : يا رسول الله ، فهل في أيدينا مما أنزل الله عليك ، شيء مما كان في صحف ابراهيم ، وموسى ؟.

قال : إقرأ يا أبا ذر : قد أفلَحَ من تَزَكّى ، وذكَرَ إسم ربّه فصلّى ، بلْ تُؤثرونَ الحَياةَ الدّنيا . والآخرة خير وأبقى إنّ هذا (يعني ذكر هذه الأربع آيات) لفي الصحف الأولى ، صُحُفِ ابراهيمَ وموسى ..

قلت : يا رسول الله ، أوصني .

قال : أوصيك بتقوى الله ، فانها رأس أمرِكَ كلّه .

قلت : يا رسول الله : زدني .

قال : عليك بتلاوةِ القرآن ، وذكرِ الله كثيرا ، فانه ذكر لك في السماء ، ونور لك في الارض .

قلت : يا رسول الله ، زدني •

قال : عليك بالجهاد ، فانه رهبانية أمتي !

قلت : يا رسول الله (ص) ، زدني •

قال : عليك بالصمت ، إلا من الخير ، فانه مطرَدَة للشيطان عنك ، وعون لك على أمر دينك •

قلت : يا رسول الله ، زدني •

قال : إيّاك وكثرة الضحك ، فانه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه •

قلت : يا رسول الله ، زدني •

قال : انظر (الى) من هو تحتك ، ولا تنظر الى من هو فوقك ، فانه أجدرُ أن لا تزدري نعمة الله عليك •

قلت : يا رسول الله ، زدني •

قال : صِلْ قرابتك وإن قطعوك ؛ وأحِبَّ المساكين وأكثر مجالستهم •

قلت : يا رسول الله ، زدني •

قال : قل الحق ، وان كان عليك مرّاً •

قلت : يا رسول الله ، زدني •

قال : لا تخف في الله لومة لائم •

قلت : يا رسول الله زدني •

قال : يا أبا ذر ، ليرُدَّك عن الناس ما تعرف من نفسك ، ولا تجد

عليهم فيما يأتي ، فكفى بالرجل عيباً أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه ، ويجد عليهم فيما يأتي •

قال : ثم ضرب بيده على صدري ، وقال : يا أبا ذر ، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق [1] •

(١) تنبيه الخواطر ـ ٢/٣١٤ الى ٣١٦ / ومعاني الاخبار ٣٣٣ الى ٣٣٥ .
وقد وجدت بعضا من مقاطع هذا الحوار في الكامل ١/ص٤٧ـ٦٠ـ١٢٤

أبوذَرّ العَالِم

نكتفي هنا بعرض لما قيل وكتب حول علم أبي ذر (رض) فان في ذلك صورة واضحة عما يتمتع به هذا الصحابي الجليل من العلم والفضل .

قال أمير المؤمنين علي (ع) : وعى علماً عُجز فيه ، وكان شحيحا حريصا على دينه ، حريصا على العلم ، وكان يكثر السؤال ، فيعطى ويمنع ، أما أن قد ملىء له في وعائه حتى امتلأ .

وقال أبو نعيم في الحلية : أول من تكلم في علم البقاء والفناء ، وثبت على المشقة والعناء وحفظ العهود والوصايا ، وصبر على المِحَن والرزايا.. الى أن قال : أبو ذر الغفاري رضي الله عنه خدم الرسول وتعلم الاصول ، ونبذ الفضول .

وقال ابن حجر في الإصابة : كان يوازي ابنَ مسعود في العلم [١] .

وجاء في كتاب فنون الاسلام ، في أول من جمع حديثا الى مثله في باب واحد ، وعنوان واحد من الصحابة الشيعة ، وهم : أبو عبدالله سلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري (رض) وقد نص على ذلك ، رشيد الدين بن شهر اشوب في كتابه : معالم علماء الشيعة . وذكر الشيخ أبــو جعفر الطوسي

(١) الغدير ٨/٣١١ ــ ٣١٢ .

شيخ الشيعة ، والشيخ أبو العباس النجاشي في كتابيهما ، فــي فهرست اسماء المصنفين من الشيعة ، مصنفاً لأبي عبدالله سلمان الفارسي ، ومصنفاً لأبي ذر الغفاري ، وأوصلا اسنادهما الى رواية كتاب سلمان ، وكتاب أبي ذر ، وكتاب سلمان : كتــاب حديث الجاثليق . وكتاب أبــي ذر : كتــاب كالخطبة ، يشرح فيه الامور بعد رسول الله (ص) الخ [١] ..

وقد ذكر بعض الاعلام : « أنه كان بينه وبين عثمان مشاجرة في مسألة من مسائل الزكاة ، فتحاكما عند رسول الله (ص) فحكم لأبــي ذر علــى عثمان [٢] » .

....

(١) كتاب الشيعة وفنون الاسلام / ٣١ .
(٢) رجال بحر العلوم ١٥١/٢ .

الزّاهد المتعبّد

في حلية الاولياء بسنده عن أبي ذر ، قال :

والله لو تعلمون ما أعلم ، ما انبسطتم الى نسائكم ، ولا تقاررتهم على فرشكم ، والله لوددت أن الله عز وجل خلقني ، يوم خلقني — شجرة تعضد ، ويؤكل ثمرها .

وروى الصدوق في الخصال بسنده ، عن الصادق (ع) عن أبيه قال :

بكى أبو ذر من خشية الله عز وجل ، حتى اشتكى بصره !

فقيل له : يا أبا ذر ! لو دعوت الله أن يشفي بصرك !؟

فقال : اني عنه لمشغول ! وما هو من أكبر همي . قالوا : وما يشغلك ؟

قال : العظيمتان ! الجنة والنار !!.

قال أبو ذر : من جزى الله عنه الدنيا خيرا ! فجزاها الله عني مذمة ، بعد رغيفي شعير ، أتغدى بأحدهما ، وأتعشى بالآخر ، وبعد شملتي صوف ، أتزر باحداهما ، وأرتدي بالأخرى .

وقال : كان قوتي على عهد رسول الله من تمر ، فلست بزائد عليه حتى ألقى الله !

عن عيسى بن عميلة الفزاري قال : أخبرني من رأى أبا ذر يحلب غنيمة له ، فيبدأ بجيرانه وأضيافه قبل نفسه ، ولقد رأيته ليلة حلب حتى ما بقي في ضروع غنمه شيء ، إلا مَصَره وقرّب اليهم تمراً ، وهو يسير ، ثم تعذر اليهم وقال : لو كان عندنا ما هو أفضل من هذا ، لجئنا به ! وما رأيته ذاق تلك الليلة شيئاً .

وقيل له : ألا تتّخذ ضيعة ، كما إتّخذ فلان وفلان !؟

قال : وما أصنع ، بأن أكون أميرا ؟ وانما يكفيني كل يوم شربه ماء أو لبن ، وفي الجمعة قفيز من قمح .

وكان يقول : يولدون للموت ، ويعمرون للخراب ، ويحرصون على ما يفنى ، ويتركون ما يبقى ألا حبذا المكروهان : الموت ، والفقر (في سبيل الله) .

عن ابي جعفر (ع) قال : أتى أبا ذر رجل يبشره بغنم له قد ولدت . فقال : يا أبا ذر ! أبشر فقد ولدت غنمك ، وكثرت !

فقال : ما يسرّني كثرتها ، وما أحب ذلك ! فما قلّ وكفى ، أحب اليّ مما كَثُر وألهى ! اني سمعت رسول الله (ص) يقول : على حافتيّ الصراط يوم القيامة : الرحمُ ، والامانة ، فاذا مرّ عليه الوصول للرحم ، المؤدي للأمانة ، لم يتكفأ به في النار .

وقيل له عند الموت : يا أبا ذر ، ما لك .؟

قال : عملي !

قالوا : إنا نسألك عن الذهب والفضة .!

قال : ما أصبح ، فلا أمسى ، وما أمسى فلا أصبح ، لنا كندوج *

(١) هذا الفصل اخذناه من أعيان الشيعة ١٦ ص ٣٢٦ الى ٣٣١ .

* الكندوج : لفظ معرب، معناه : الخزانة .

ندع فيه خير متاعنا ، سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : كندوج المرء ، قبره [١] .

وفي حلية الاولياء ، بسنده ، عن محمد بن سيرين ، قال :

« بلغ الحارث (رجلا كان بالشام) أن أبا ذر به عوز ، فبعث اليه بثلاثمائة دينار .

فقال : ما وجد عبداً لله تعالى هو أهون عليه مني ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (من سأل ، وله أربعون ، فقد ألحف !) ولآل أبي ذر أربعون درهماً ، وأربعون شاة .

من فضائله

ما روي عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال :

دخل أبو ذر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومعه جبرئيل ، فقال جبرئيل : من هذا يا رسول الله ؟

قال : أبو ذر .

قال : أما انه في السماء أعرف منه في الارض ، وسله عن كلمات يقولهن اذا أصبح ، قال : فقال : يا أبا ذر ، كلمات تقولهن اذا أصبحتَ ، فما هنّ ؟

قال : أقول ، يا رسول الله : (اللهم اني أسألك الايمان بك ، والتصديق بنبيك ، والعافية من جميع البلايا ، والشكر على العافية ، والغنى عن شرار الناس [٢]) .

---

(١) معجم رجال الحديث ١٧١/٤ .
(٢) نفس المصدر ١٦٨/٤ .

من كلامه

روي عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال :

قام أبو ذر رضي الله عنه ، بباب الكعبة ، فقال : أنا جندب بن جنادة الغفاري ، هلموا الى أخ ناصح شفيق •

فاكتنفه الناس ، فقالوا : قد دعوتنا ، فانصح لنا •

قال : لو أن أحدكم أراد سفرا ، لأعدّ فيه من الزاد ما يصلحه ، فما لكم لا تزوّدون لطريق القيامة ، وما يصلحكم فيه ؟

قالوا : كيف تتزوّد لذلك ؟

فقال : يحج الرجل حجة لعظام الامور ، ويصوم يوما شديد الحرّ ليوم النشور ، ويصلي ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور • ويتصدق بصدقة على مسكين لنجاة من يوم عسير •

يا ابن آدم ! اجعل الدنيا مجلسين ، مجلساً في طلب الحلال ، ومجلساً للآخرة ، ولا تزد الثالث ، فانه لا ينفعك • واجعل الكلام كلمتين ، كلمة للآخرة ، وكلمة في إلتماس الحلال، والثالثة تضرّك• واجعل مالك درهمين، درهماً تنفقه على عيالك ، ودرهماً لآخرتك ، والثالث لا ينفعك • واجعل الدنيا ساعة من ساعتين ، ساعة مضت بما فيها ، فلست قادراً على ردّها ، وساعة آتية لست على ثقة من ادراكها ، والساعة التي أنت فيها ساعة عملك،

فاجتهد فيها لنفسك ، واصبر فيها عن معاصي ربّك ! فان لم تفعل ، فقد هلكت !.

ثم قال : قتلني همّ يوم لا أُدركه [١] .

وعن أبي عبدالله الصادق ، عن أبيه ــ عليهما السلام ــ أنه قال :

في خطبة أبي ذر : يا مبتغي العلم، لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك. أنت يوم تفارقهم كضيف بتّ فيهم ثم غدوت الى غيرهم . الدنيا والآخرة كمنزل تحولت منه الى غيره . وما بين البعث والموت ، إلا كنومة نمتها ، ثم استيقضت منها .

يا جاهل العلم تعلّم ، فانّ قلباً ليس فيه شرفُ العلم ، كالبيت الخراب الذي لا عامرَ له .

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام ، عن أبي ذر قال :

يا باغي العلم ، قدّم لمقامك بين يدي الله ، فانك مرتهن بعملك ، كما تدين تُدان .

يا باغي العلم ، صلّ قبل أن لا تقدر على ليل ولا نهار تصلي فيه ! إنما مَثلُ الصلاة لصاحبها ، كمثل رجل دخل على ذي سلطان فأنصتَ له حتى فرغ من حاجته . وكذا المرءُ المسلم باذن الله عزّ وجلّ ، ما دام في الصلاة، لم يزل الله عز وجل ينظر اليه حتى يفرغ من صلاته .

يا باغي العلم ، تصدّق من قبلِ أن لا تُعطى شيئا ، ولا جميعه ، إنما مَثلُ الصدقة لصاحبها ، مَثلُ رجل طلبه قوم بدم ، فقال لهم : لا تقتلوني،

---

(١) تنبيه الخواطر ٢/٢٧٤ .

إضربوا الي" أجلا أسعى في رجالكم ! كذلك المرء المسلم باذن الله ، كلما تصدق بصدقة ، حل" بها عقدة من رقبته ، حتى يتوفى الله عز وجل أقواماً وهو عنهم راض ، ومن رضي الله عز وجل عنه ، فقد أمن من النار •

يا باغي العلم ، إن هذا اللسان مفتاح خير ، ومفتاح شر ، فاختم على فمك كما تختم على ذَهبك وعلى ورِقك •

يا باغي العلم ، إن هذه الأمثال ضربها الله عز وجل للناس ، وما يعقلها إلا العالمون[1] •!

---

(١) تنبيه الخواطر – ٣١٦/٢ .

وَصفه لآخر الزمَان

في حلية الأولياء ، بسنده عن أبي ذر ، قال :

ليأتين عليكم زمان ، يغبط الرجل فيه بخفة الحاذ * كما يغبط اليوم فيكم أبو عشرة .

وروى الحاكم في المستدرك ، بسنده .. عن أبي ذر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

« اذا اقترب الزمان ، كثر لبس الطيالسة ، وكثرت التجارة ، وكثر المال ، وعَظُم ربّ المال بماله ، وكثرت الفاحشة ، وكانت إمارة الصبيان ، وكثر النساء ، وجار السلطان ، وطُفِّفَ في المكيال والميزان ، ويربي الرجل جرو كلب ، خير له من أن يربي ولدا له ! ولا يُوَقَّرُ كبير ، ولا يُرحم صغير ، ويكثر أولاد الزنا ، حتى أن الرجل ليغشى المرأة على قارعة الطريق ، فيقو لأمثلهم في ذلك الزمان : لو اعتزلتما عن الطريق !!

ويلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب ، أمثلهم في ذلك الزمان ، المُداهن .! »[1]

---

* الحاذ : الظهر . كنى به عن قلة المال والولد .

(1) أعيان الشيعة ٤٦٩/١٦ ط الأولى .

الفصل الخامس

وصيّة النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه

ذكرناها بطولها ، وتمامها لما تشتمل عليه مـن غرر الحكم النبوية . وهي بذاتها تصلح لان تدرس بشكـل مستقل ، لكن السرعة في انجاز هذا الكتاب حالت دون ذلك .

وقد نقلتها عن كتاب (تنبيه الخواطر) للأمير الزاهد ، أبي الحسين ورام ابن أبي فراس المالكي . راجع ص ٣٠٠ الى ص ٣١٤ الجزء الثاني . أسال الله سبحانه أن ينفعنا بها .

وصيّة النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم لأبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه

في مجموعة ورام (تنبيه الخواطر) :

أبو حرب ابن أبي الأسود الدؤلي ، عن أبيه قال : قدمت الربذة ، فدخلت على أبي ذر جندب بن جنادة ، فحدثني أبو ذر فقال :

دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله (ص) في مسجده ، فلم أرَ في المسجد أحداً من الناس إلا رسول الله (ص) وعليّ (ع) الى جانبه جالس ، فاغتنمت خلوة المسجد ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، أوصني بوصية ينفعني الله بها .

فقال (ص) : نعم وأكرم بك يا أبا ذر ، إنك منّا أهل البيت ، وإني موصيك بوصية ، فاحفظها ، فانها جامعة لطرق الخير ، وسُبُله ، فانك إن تحفظها ، كان لك بها كِفل * .

يا أبا ذر : أعبد الله كأنك تراه . فان كنت لا تراه ، فانه عزّ وجل يراك ، واعلم أن أول عبادة الله المعرفة به . إنه الأول قبل كل شيء ، فلا قبله ، والفرد ، فلاثاني معه ، والباقي لا الى غاية ، فاطر السموات والأرض وما فيهما ، وما بينهما من شيء ، وهو اللطيف الخبير . وهو على

* الكفل : الحظ والنصيب ، أو ما يحفظ به الانسان .

كل شيء قدير • ثم الإيمان بي ، والإقرار بأنّ الله عزّ وجل أرسلني الى كافة الناس ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ، ثم أحبّ أهل بيتي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا •

واعلم يا أبا ذر : أنّ الله جعل أهل بيتي كسفينة النجاة في قوم نوح، من ركبها نجى ، ومن رَغِبَ عنها غَرِق ، ومثل باب حِطّة في بني اسرائيل ، من دخله كان آمنا •

يا أبا ذر : احفظ ما أوصيك به ، تكن سعيداً في الدنيا والآخرة •

يا أبا ذر : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ •

يا أبا ذر : إغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هَرَمِك ، وصحتك قبل سَقَمِك وغِناكَ قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك •

يا أبا ذر : إيّاك والتسويف بأمَلِك ، فانك بيومك ، ولستَ بما بعده ، فان يكن غد لك ، فكن في الغد كما كنت في اليوم ، فان لم يكن غد لك ، لم تندم على ما فرّطت في اليوم •

يا أبا ذر : كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومنتظر غداً لا يبلغه •

يا أبا ذر : لو نظرت الى الأجل ومسيره ، لأبغضت الامل وغروره •

يا أبا ذر : كن في الدنيا كأنك غريب ، أو كعابر سبيل ، وعُدّ نفسك في أهل القبور •

يا أبا ذر : اذا أصبحت ، فلا تحدّث نفسك بالمساء ، واذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح ، وخذ من صحتك قَبلَ سَقَمِك ، ومن حياتك قبل موتك ، فانك لا تدري ما اسمك غداً •

يا أبا ذر : إيّاك أن تدركك الصرعة عند الغِرّة ، فلا تُمَكَّن من الرجعة ، ولا يَحمَدُك من خلّفت بما تركتَ ، ولا يَعذرك من تَقدِم عليه بما به اشتغلتَ .

يا أبا ذر : ما رأيتُ كالنار نام هاربُها ، ولا كالجنة نام طالبُها .

يا أبا ذر : كن على عمرك أشحّ منك على درهمك ودينارك .

يا أبا ذر : هل ينتظر أحدكم إلا غِنى مطغيا ، أو فقرا منسيا ، أو مرضا مزمناً أو هرماً مفنياً ، أو موتا مجهزاً ، أو الدجّال فانه شر غائب ينتظر ، أو الساعة ، والساعة أدهى وأمر .

يا أبا ذر : ان شرّ الناس عند الله عز وجل يوم القيامة ، عالم لا ينتفع بعلمه ، ومن طلب علماً ليصرف به وجوه الناس اليه لم يجد ريح الجنة .

يا أبا ذر : من ابتغى العلم ليخدع به الناس ، لم يجد ريح الجنة .

يا أبا ذر : اذا سئلت عن علم لا تعلمه ، فقل : لا أعلمه ، تنجُ من نبعته، ولا تفت الناس بما لا علم لك به ، تنج من عذاب يوم القيامة .

يا أبا ذر : تطلّع قوم من أهل الجنة الى قوم من النار ، فيقولون : ما أدخلكم النار ؟ وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ! فيقولون : إنا كنا نأمر بالمعروف ولا نفعله ..

يا أبا ذر : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ، وان نعم الله عز وجل أكثر من أن يحصيها العباد ، ولكن أمسوا تائبين وأصبحوا تائبين .

يا أبا ذر : إنكم في ممرّ الليل والنهار في آجال منقوصة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة ، فمن يزرع خيراً يوشك أن يحصد زرعه ، ومن يزرع شراً ، يوشك أن يحصدَ ندامة ، ولكل زارع ما زرع .

يا أبا ذر : لا يسبقُ بطيء بحظه ، ولا يُدرك حريص ما لم يقدر له ،

ومن أعطى خطراً ، فالله عز وجل أعطاه ، ومن وقى شراً فالله عز وجل وقاه .

يا أبا ذر : المتّقون سادة ، والفقهاء قادة ، ومجالستهم زيادة .

يا أبا ذر : إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة ، يخاف أن تقع عليه، والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مرّ على أنفه .

يا أبا ذر : إن الله تبارك وتعالى اذا أراد بعبد خيراً جعل الذنوب بين عينيه ممثّلة . والإثم عليه ثقيلا وبيلا . واذا أراد الله بعبده شراً أنساه ذنوبه .

يا أبا ذر : لا تنظر الى صِغَر الخطيئة ، ولكن انظر الى من عصيت .

يا أبا ذر : إنّ نفس المؤمن أشدّ تقلبّاً من الخطيئة ، من العصفور حين يقذف به في شَرَكِه .

يا أبا ذر : من وافق قوله فعله ، فذلك الذي أصاب حظه ، ومن خالف قوله فعله فانما يوبّخ نفسه .

يا أبا ذر : إن الرجل ليُحرَم الرزق بالذنب يصيبه .

يا أبا ذر : إنك اذا طلبت شيئا من الدنيا ، وابتغيته ، وعسر عليك ، فان لك على كل حال حسنة .

يا أبا ذر : لا تنطق فيما لا يعنيك ، فانك لست منه في شيء ، واخزن لسانك كما تخزن رزقك .

يا أبا ذر : إن الله جل ثناؤه ليدخلُ قوماً الجنة فيعطيهم ، حتى تنتهي أمانيهم . وفوقهم قوم في الدرجات العلى فاذا نظروا اليهم عرفوهم فيقولون : ربنا اخواننا كنا معهم في الدنيا ، فَبِمَ فضّلتهم علينا ؟ فيقال : هيهات ، انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ، ويضمئون حين تروون ،

ويقومون حين تنامون ، ويُشخصون [١] حين تَخفِضُون .

يا أبا ذر : ان الله تعالى جعل قُرَّة عيني في الصلاة ، وحبَّبَها اليّ كما حبَّب الى الجائع الطعام والى الظمآن الماء . وإن الجائع اذا أكل الطعام شبع ، واذا شرب رُوي ، وأنا لا أشبع من الصلاة .

يا أبا ذر : ان الله تعالى بعث عيسى ابن مريم (ع) بالرهبانية ، وبُعثتُ بالحنيفية السمحة ، وحبَّبَ اليّ النساء والطيب وجعل في الصلاة قرة عيني .

يا أبا ذر : أيما رجل تطوع في كل يوم اثنتي عشرة ركعة سوى المكتوبة ، كان له حقاً واجباً بيت في الجنة .

يا أبا ذر : صلاة في مسجدي هذا تَعدِل ألف صلاة في غيره من المساجد ، إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة في غيره . وأفضل من هذا كله صلاة يصليها الرجل في بيته حيث لا يراه إلا الله عز وجل يطلب بها وجه الله عز وجل .

يا أبا ذر : ما دمت في الصلاة ، فانك تقرع بابَ المِلكْ ، ومن يُكثر قرع باب الملك فانه يُفتح له .

يا أبا ذر : ما من مؤمن يقوم للصلاة إلا تناثر عليه البِرّ ما بينه وبين العرش ، ووُكّل به ملك ينادي ، يا ابن آدم : لو تعلم ما لك في صلاتك ومن تناجي ، ما سئمت ولا التفت .

يا أبا ذر : طوبى لأصحاب الألوية يوم القيامة ، يحملونها فيسبقون

(١) يمكن ان يكون المقصود بالاشخاص : جشوبة العيش ، في قبال الخفض ، وهو سهولة العيش . ويحتمل ان يراد بالاشخاص هنا عدم الاستقرار ، في قبال الخفض وهو الاقامة في المكان .

الناس الى الجنة ، ألا وهم السابقون الى المساجد ، بالأسحار وغيرها .

يا أبا ذر : لا تجعل بيتك قبراً ، واجعل فيه من صلاتك ما تضيء لك قبرك .

يا أبا ذر : الصلاة عماد الدين ، واللسان أكبر ، والصدقة تمحو الخطيئة ، واللسان أكبر [1] .

يا أبا ذر : الدرجة في الجنة فوق الدرجة ، كما بين السماء والارض . وان العبد ليرفَعُ بصره فيلمع له نور يكاد يخطِف بصَرَه ، فيفزع لذلك فيقول : ما هذا ؟ فيقال : هذا نور أخيك المؤمن ! فيقول : أخي فلان كنّا نعمل جميعاً في الدنيا ، وقد فُضِّل عليّ هكذا ؟ فيقال : إنه كان أفضل منك عملا ، ثم يُجعل في قلبه الرضا حتى يرضى .

يا أبا ذر : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، وما أصبح فيها مؤمن إلا وهو حزين ! فكيف لا يحزن ، وقد أوعد الله أنه وارد جهنم ، ولم يعده أنه صادر منها ، وليلقين أمراضاً ومصيبات وأموراً تغيضه ، وليُظلمنّ فلا ينتصر ، يبتغي ثواباً من الله ، فما يزال فيها حزيناً حتى يفارقها ، فاذا فارقها أفضى الى الراحة والكرامة .

يا أبا ذر : ما عُبِدَ الله على مثل طول الحزن .

يا أبا ذر : من أوتي من العلم ما لا يعمل به ، لحقيق أن يكون أوتي علماً لا ينفعه الله به ، لأن الله عز وجل نعت العلماء فقال : إن الّذينَ أوتُوا العِلمَ مِن قَبله اذا يُتلى عليهم يَخِرّون للأذقانِ سجّداً ويقولون : سُبحانَ ربّنا إن كان وعد ربّنا لمفعُولا ، ويَخرّونَ للأذقانِ يَبكُون .

(١) ربما يكون المقصود باللسان هنا : الكلام الذي ينفع الناس ، كالوعظ والارشاد والتعليم .

يا أبا ذر : من استطاع أن يبكي ، فليبك ، ومن لم يستطع فليشعر قلبه الحزن وليتباك ، إن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا يشعرون .

يا أبا ذر : ما من خطيب يخطب إلا عرضت عليه خطبته يوم القيامة ، وما أراد بها .

يا أبا ذر : إن فضل الصلاة النافلة في السر على العلانية ، كفضل الفريضة على النافلة .

يا أبا ذر : ما يتقرب العبد الى الله بشيء ، أفضل من السجود الخفي .

يا أبا ذر : أذكر الله ذكراً خاملا ! قلت : يا رسول الله وما الخامل ؟ قال : الذكر الخفي .

يا أبا ذر : يقول الله تعالى : لا أجمع على عبدي خوفين ، ولا أجمع له أمنين فاذا أمنني في الدنيا ، أخفته في الآخرة ، واذا خافني في الدنيا، أمنته يوم القيامة .

يا أبا ذر : لو أن رجلا كان له عمل سبعين نبياً لاحتقره وخشي أن لا ينجو من شر يوم القيامة .

يا أبا ذر : إن الرجل لتعرض عليه ذنوبه يوم القيامة ، فيقول : أما اني كنت منك مشفقاً ، فيغفر له .

يا باأ ذر : إن الرجل ليعمل الحسنة، فيتكل عليها، ويعمل المحقرات[1] فيأتي الله وهو من الاشقياء ، وان الرجل ليعمل السيئة ، فيفرق [2] منها ، فيأتي الله آمناً يوم القيامة .

---

(١) صغائر الذنوب .
(٢) يخاف .

يا أبا ذر : إن العبد ليُذنب فيدخل بذنبه ذلك الجنة ! قلت : وكيف ذلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال : يكون ذلك الذنب نصبَ عينيه تائباً منه ، فاراً الى الله عز وجل حتى يدخل الجنة •

يا أبا ذر : ان الكيّس من الناس من دان نفسه ، وعمل لما بعدَ الموت ، والعاجزَ من أتبعَ نفسه هواها ، وتمنى على الله عز وجل الأماني •

يا أبا ذر : إن الله عز وجل أول شيء يرفع من هذه الأمة ، الأمانة والخشوع ، حتى لا تكاد ترى خاشعاً •

يا أبا ذر : والذي نفس محمد بيده ، لو أن الدنيا كانت تعدِلُ عند الله جَناح بعوضة ، ما سقى الفاجر منها شربة ماء •

يا أبا ذر : إن الدنيا ملعونة • ملعون ما فيها ، إلا ما ابتغي بـه وجه الله •

يا أبا ذر : ما من شيء ابغض الى الله من الدنيا ، خلقها ثم أعرض عنها، ولم ينظر اليها ولا ينظر اليها حتى تقوم الساعة ، وما من شيء أحب الى الله عز وجل من ايمان به ، وترك ما أمر أن يترك •

يا أبا ذر : إن الله جل ثناؤه أوحى الى أخي عيسى (ع) : يا عيسى لا تحب الدنيا ، فاني لست أحبّها ، وأحبِّ الآخرة فانها هي دار المعاد •

يا أبا ذر : إن جبرئيل (ع) أتاني بخزائن الدنيا على بغلة شهباء ، فقال لي : يا محمد هذه خزائن الدنيا ، ولا ينقصك من حظك عند ربّك ! قال : فقلت : حبيبي جبرئيل ، لا حاجة لي فيها • اذا جعتُ سألت ربي • واذا شبعت شكرته •

يا أبا ذر : اذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه في الدين • وزهّده في الدنيا، وبصّره بعيوب نفسه •

يا أبا ذر : ما زَهِد عبد في الدنيا إلا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وأنطَق بها لسانه وبصَّره عيوب الدنيا ، ودائها ودوائها ، وأخرجه منها سالماً الى دار السلام .

يا أبا ذر : اذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا ، فاستمع منه ، فانه يلقي اليك الحكمة . فقلت : يا رسول الله ، من أزهدُ الناس ؟ قال : من لم ينسَ المقابر والبلى وترْكَ ما يفنى لما يبقى ، ومن لم يعدَّ غداً من أيامه ، وعدَّ نفسه في الموتى .

يا أبا ذر : ان الله لم يوحِ الي أن إجمع المال . ولكن أوحى الي : أن سبِّح بحمد ربك ، وكن من الساجدين ، واعبد ربَّك حتى يأتيك اليقين .

يا أبا ذر : إني ألبس الغليظ ، وأجلس على الأرض ، وألعق أصابعي ، وأركبُ الحمار بغير سرج ، وأردُف خلفي ، فمن رغب عن سنتي ، فليس مني .

يا أبا ذر : حبُّ المال والشرف ، أذهبُ لدينِ الرجل من ذئبين ضاريين في زريبة الغنم ، فأغارا فيها حتى أصبحا : فماذا أبقيا منها ؟ قال : قلت: يا رسول الله : الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيراً، يَسبقون الناس الى الجنة ؟ فقال : لا ، ولكن فقراء المؤمنين ، فانهم يأتون فيتخطونَ رقاب الناس الى الجنة ، فيقول لهم خزنة الجنة : كما أنتم ، حتى تحاسبوا ؟ فيقولون : بمَ نُحاسَب ؟ فوالله ، ما ملكنا فنجود ، أو نعدل ! ولا أُفيض علينا ، فنقبِضَ أو نبسُط ، وكنا نعبدُ ربّنا حتى أتانا اليقين.

يا أبا ذر : الدنيا مشغلة للقلب والبدن ، وانَّ الله عز وجل يسئل أهل الدنيا عما نعموا في حلالها ، فكيف بما تنعَّموا في حرامها .

يا أبا ذر : إني قد سألت الله عـز وجل أن يجعل رزق مـن أحبَّني الكَفاف ، ويعطي من يبغضني كثرة المال والولد .

يا أبا ذر : طوبى للزاهدين في الدنيا ، والراغبين في الآخرة ، الذين اتخذوا أرض الله بساطاً ، وترابها فراشاً ، ومائها طيبـاً ، واتخذوا الكتاب شعاراً ، والدعاء لله عز وجل دثاراً ، وقرضوا الدنيا قرضاً .

يا أبا ذر : حَرْثُ[1] الآخرة العملُ الصالح ، وحَرْثُ الدنيا ، المال والبنون .

يا أبا ذر : إن ربي تبارك وتعالى أخبرني ، فقال : وعزتي وجلالي مـا أدركَ العابدون درك البكاء عندي شيئا ، واني لأبنينّ لهم فـي الرفيق الأعلى قصراً لا يشركهم فيه ! قال ، قلتُ : يـا رسول الله ، أيّ المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم للموت ذكرا ، وأحسنهم له استعدادا .

يا أبا ذر : اذا دخل النور القلب ، انفسح القلب ، واستوسع ، قلت : فما علاقة ذلك ؟ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال : الإنابة الى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله .

يا أبا ذر : إتق الله ، ولا تُر الناس أنـك تخشى الله ، فيكرموك وقلبك فاجر .

يا أبا ذر : ليكن لك في كلّ شيء نيّة ، حتى في الأكل والنوم .

يا أبا ذر : ليعظم جلال الله في صدرك ، فلا تذكره كما يذكره الجاهل عند الكلب : اللهم إخزِه ، وعند الخنزير اللهم إخزِه .

---

(١) الحرث : ما يكسبه الانسان .

يا أبا ذر : ان لله ملائكة قياماً في خيفته لا يرفعون رؤوسهم حتى يُنفخَ في الصُور النفخة الأخيرة ، فيقولون جميعاً : سبحانك وبحمدك ما عبدناك كما ينبغي لك أن تُعبد ، فلو كان لرجل عمل سبعين صدّيقاً ، لإستقلّ عمله من شدة ما يَرى يومئذ ، ولو أن دلواً صُبّ من غِسلين في مطلع الشمس ، لغلَت منه جماجم من في مغربها ، ولو زَفرت جهنم زفرة لم يبقَ ملك مقرب ، ولا نبي مرسل إلا خرّ جاثياً لركبتيه يقول : يا ربّ نفسي نفسي حتى ينسى إبراهيم إسحاق ، يقول : يا رب أنا خليلك ، فلا تنسني •

يا أبا ذر : لو أن امرأة من نساء أهل الجنة إطّلعت من سماء الدنيا في ليلة ظلماء ، لأضاءت لها الارض كما تضيء ليلة البدر ، ولوَجد ريحُ نشرِها جميع أهل الارض ، ولو أنّ ثوباً من ثياب أهل الجنة نُشِر اليوم في الدنيا ، لصعِق من ينظر اليه ، وما حملته أبصارهم •

يا أبا ذر : اخفض صوتك عند الجنائز وعند القتال وعند القرآن •

يا أبا ذر : اذا اتبعت جنازة فليكن عملك فيها التفكر والخشوع ، وإعلم أنك لاحق به •

يا أبا ذر : إعلم أن كل شيء اذا فسد ، فالملح دواؤه ، واذا فسد الملح فليس له دواء [1] • وإعلم ان فيكم خُلقين : الضحك من غير عجب ، والكسل من غير سهر •

(١) يشير فيها (ص) الى كون العلماء هم المصلحون في المجتمع ، ومتى ما فسد العلماء فانه لا يصلحهم أحد (هكذا روي) .

يا أبا ذر : ركعتان مقتصدتان في تفكر ، خير من قيام ليلة والقلب ساهي .

يا أبا ذر : الحقّ ثقيل مرّ . والباطلُ خفيف حلو ، ورُبّ شهوة ساعة تورثُ حزناً طويلا .

يا أبا ذر : لا يفقه الرجل كل الفقه ، حتى يرى أن الناس في جنب الله أمثال الأباعر ، ثم يرجع الى نفسه ، فيكون هو أحقر حاقر لها .

يا أبا ذر : لا يصيب الرجلُ حقيقة الإيمان حتى يرى الناس كلهم حمقى في دينهم ، عقلاء في دنياهم .

يا أبا ذر : حاسِب نفسك قبل أن تُحاسب ، فانه أهونُ لحسابك غداً . وزِنْ نفسك قبل أن توزن ، وتجهّز للعرض الأكبر يوم تُعرض ، لا يخفى على الله منك خافية .

يا أبا ذر : إستحي من الله ، فاني والذي نفسي بيده ، لأظل حين اذهبُ الى الغائط متقنعاً بثوبي ، إستحياء من الملائكة الذين معي .

يا أبا ذر : أتحب ان تدخلَ الجنة ؟ قلت : نعم فداك أبي وأمي . قال : أقصر من الأمل ، واجعل الموت نَصبَ عينيك ، واستحي من الله حقّ الحياء ، قال ، قلت : يا رسول الله ، كلنا نستحي من الله . قال : ليس كذلك الحياء ، ولكن الحياء أن لا تنسى المقابرَ والبلى ، والجوفَ وما وعى والرأس وما حوى ، فمن أراد كرامة الآخرة ، فليدع زينة الدنيا ، فاذا كنت كذلك أصبت ولاية الله عز وجل .

يا أبا ذر : يكفي من الدعاء مع البر ، ما يكفي الطعام من الملح .

يا أبا ذر : مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتَر •

يا أبا ذر : إن الله تعالى يُصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده ، ويحفظه الله في دويرته والدور حوله ما دام فيهم •

يا أبا ذر : إن ربك عز وجل يباهي الملائكة بثلاثة نَفر • رجل يُصبح في أرض قفر فيؤذّن ثم يقيم ثم يصلي ، فيقول ربك عز وجل للملائكة : انظروا الى عبدي يصلي ولا يراه أحد غيري ، فينزل سبعون ألف ملك يُصلّون وراءه ويستغفرون له الى الغد من ذلك اليوم • ورجل قام من الليل فصلى وحده ، فسجد ونام وهو ساجد • فيقول الله انظروا الى عبدي روحه عندي وجسده ساجد • ورجل في زَحف ، فيفرّ أصحابه ويثبت هو يقاتل حتى يقتل •

يا أبا ذر : ما من رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له بها • وما من منزل ينزله قوم ، إلا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم •

يا أبا ذر : ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الارض تنادي بعضها بعضا : يا جارة ، هل مرّ بك اليوم ذاكر لله تعالى ، أو عبد وضع جبهته عليك ساجداً لله تعالى ، فمن قائلة : لا • ومن قائلة نعم • فاذا قالت نعم : اهتزت وابتهجت وترى أن لها فضلا على جارتها •

يا أبا ذر : ان الله لما خلق الارض ، وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الارض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة ، فلم تزل الأرض والشجر كذلك • حتى تكلم فجرة بني آدم بالكلمة العظيمة قولهم : إتخذ الله ولداً سبحانه ، فلما قالوا ، إقشعرت الارض ، وذهبت منفعة الأشجار •

يا أبا ذر : ان الارض لتبكي على المؤمن اذا مات أربعين صباحاً •

يا أبا ذر : اذا كان العبد في أرض قي — يعني قفرْ — فتوضأ ، أو تيمم ، ثم أذّن وأقام وصلى ، أمر الله عز وجل الملائكة فصفوا خلفه صفاً لا يرى طرفاه ، يركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، ويؤمّنون على دعائه .

يا أبا ذر : من أقام ولم يؤذّن ، لم يصل معه إلا ملكاه اللذان معه .

يا أبا ذر : ما عَمِلَ ، من لم يحفظ لسانه .

يا أبا ذر : ما مِن شابٌ يدَع لذة الدنيا ولهوها ، وأهرَمَ شبابه في طاعة الله ، إلا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صِدّيقاً .

يا أبا ذر : الذاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارّين .

يا أبا ذر : الجليس الصالح ، خير من الوحدة . والوحدة خير من جليس السوء . وإملاء الخير ، خير من السكوت ، والسكوت خير من إملاء الشر .

يا أبا ذر : لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي ، ولا تأكل طعام الفاسقين .

يا أبا ذر : إطعم طعامك من تحبه في الله ، وكل طعام من يحبك في الله .

يا أبا ذر : ان الله عند لسان كل قائل ، فليتق اللهَ امرؤ وليعلم ما يقول .

يا أبا ذر : اترك فضول الكلام ، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك .

يا أبا ذر : كفى بالمرء كذباً أن يتحدث بكل ما يسمع .

يا أبا ذر : ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان .

يا أبا ذر : إن من اجلال الله ، اكرام ذي الشيبة المسلم ، واكرام حملة القرآن العاملين به ، واكرام السلطان المقسط .

يا أبا ذر : لا تكن عيّاباً ولا مدّاحاً ولا طعّاناً ، ولا محاربا .

يا أبا ذر : لا يزال العبد يزداد من الله بُعداً ما سيىء خُلُقُه .

يا أبا ذر : الكلمة الطيبة صدقة . وكل خطوة يخطوها الى الصلاة صدقة .

يا أبا ذر : من أجاب داعيَ الله تعالى ، وأحسنَ عِمارة مساجد الله، كان ثوابه من الله الجنة . فقلت : بأبي انت وامي يا رسول الله . كيف نعمر مساجد الله ؟ قال : لا تُرفع فيها الأصوات ولا يُخاض فيها بالباطل ، ولا يشترى فيها ولا يباع ، واترك اللغو ما دمتَ فيها ، فان لم تفعل فلا تلومَنّ يوم القيامة إلا نفسك .

يا أبا ذر : إن الله يعطيك ــ ما دمتَ جالساً في المسجد ــ بكل نَفَس تتنفس فيه درجة في الجنة ، وتصلي عليك الملائكة . ويُكتب لك بكل نفس تتنفس فيه عشر حسنات ، وتُمحى عنك عشر سيئات .

يا أبا ذر : أتعلم في أي شيء أُنزلت هذه الآية : إصبروا وصابِروا ورَابِطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ؟ قلت : لا ، فداك أبي وأمي . قال : في انتظار الصلاة خلف الصلاة .

يا أبا ذر : إسباغ الوضوء في المكارِه من الكفارات ، وكثرةُ الاختلاف الى المساجد ، فذلكم الرباط .

يا أبا ذر : يقول الله تبارك وتعالى : ان أحبَّ العباد اليّ ، المتحابون بجلالي ، المتعلقة قلوبهم بالمساجد ، والمستغفرون بالأسحار ، أولئك اذا

أردتُ بأهل الارض عقوبة ، ذكرتُهم ! فصرفتُ العقوبة عنهم .

يا أبا ذر : كُلّ جلوس في المسجد لَغو إلا ثلاثة ، قراءة مُصلّ ، أو ذكر الله ، أو سائل عن علم .

يا أبا ذر : كن بالعمل بالتقوى ، أشدّ منك اهتماما بالعمل لغيره ، فانه لا يقلّ عمل بالتقوى ، وكيف يقلّ ما يُتقبل ، لقول الله عز وجل : انما يتقبل اللهُ مِنَ المتّقين .

يا أبا ذر : لا يكون الرجل من المتقين ، حتـى يحاسِبَ نفسهُ أشد مِن محاسبة الشّريك شريكَهُ فيعلمُ من أين مطعمهُ ، ومن أين مشربُه ، ومن أين ملبسُه ، أمِنْ حلّ أم من حرام ؟

يا أبا ذر : من لم يبالِ من أين اكتسب المال ، لم يبالِ الله مـن أين أدخله النار .

يا أبا ذر : أحبُّكم الى الله عز وجل ، أكثركم ذكراً له ، وأكرمكم عند اللهِ أتقاكم ، وأنجاكم من عذاب الله ، أشدّكم خوفاً له .

يا أبا ذر : ان المتقين الذين يتقون اللهَ مِن الشيء الذي لا يُتّقى منه خوفاً من الدخول في الشبهة .

يا أبا ذر : من أطاع الله عز وجل فقد ذكـر اللهَ ، وان قلّت صلاته وصيامه ، وتلاوة القرآن .

يا أبا ذر : أصلُ الدين الورعُ ، ورأسُه الطّاعة .

يا أبا ذر : كن ورِعاً تكن اعبدَ الناس ، وخيرُ دينكم الورَعُ .

يا أبا ذر : فضل العِلم خير من فضلِ العِبادةِ ، وإعلم انكم لو صليتم

حتى تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، ما نفعكم ذلك إلا بورَع .

يا أبا ذر : ان أهلَ الورَعِ والزُهدِ في الدنيا ، هُم أولياءُ الله حقاً .

يا أبا ذر : من لم يأت يوم القيامة بثلاث ، فقد خَسِر . قلت : وما الثلاث ــ فداك أبي وأمي يا رسول الله ــ ؟ قال : ورع يحجزه عمّا حرّم الله عليه ، وحِلم يَردّ به جَهلَ السفيه ، وخلق يداري به الناس .

يا أبا ذر : إن سرّكَ أن تكون أقوى الناسِ ، فتوكل على الله ، وان سرّك أن تكون أكرم الناس فاتق اللهَ . وإن سرّك أن تكون أغنى الناس ، فكن بما في يد الله عز وجل أوثقَ منك بما في يدك .

يا أبا ذر : لو أن الناس كلّهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم : ومَن يَتَّقِ الله يجعل لـه مخرجا ويرزقه مِن حيث لا يحتسِب ، ومَن يتوكل على اللهِ فَهوَ حسبُه إن اللّه بالغُ أمرِه قد جَعل اللّهُ لكل شيء قدرا .

يا أبا ذر : يقول الله تعالى : لا يُؤثرُ عبدي هوايَ على هواه إلاّ جَعلتُ غِناه فـي نفسـه وهمومَه في آخرتـه ، وضمِنَت السمواتُ والارض رزقه ، وكففت عليه ضيعته ، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر .

يا أبا ذر : لو أن ابن آدم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت ، لأدركه رزقُه كما يدركه الموت .

يا أبا ذر : ألا أعلّمك كلمات ينفعك الله عز وجل بهنّ .؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : احفظ اللهَ تجده أمامك . تعرّف الى الله تعالى في الرخاء ، يَعرِفك في الشِدّة ، واذا سألت ، فاسأل الله ، واذا استغنيت، فاستغنِ بالله ، فقد جرى القلم بما هو كائِن الـى يـومْ القيامة ، ولو أن الخَلق كلهم جهدوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه اللهُ لك ، ما قدِروا عليه ،

فان استطعت أن تعمل لله تعالى بالرضا واليقين ، فافعل ، فان لم تستطع فاصبر ، فانّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وانّ النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسراً .

يا أبا ذر : إستغنِ بغنى الله . قلت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : غداءُ يوم ، وعشاء ليلة ، فمن قَنَع بما رزقه الله ـ يا أبا ذر ـ فهو أغنى الناس .

يا أبا ذر : إن الله جلّ ثناؤه يقول : إني لستُ كلامَ الحكيم أتقبّلُ ، ولكن همّه وهواه ، فان كان همّه وهواهُ فيما أحبّ وأرضى ، جعلت صمته حمداً لي ، ووقارا ، وإن لم يتكلم .

يا أبا ذر : ان الله تبارك وتعالى ، لا ينظر الى صوركم ، ولا الى أموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم .

يا أبا ذر : التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، وأشار بيده الى صدره .

يا أبا ذر : أربع لا يصيبهن إلا مؤمن . الصمتُ ، وهو أول العبادة ، والتواضع لله سبحانه ، وذِكرُ الله تعالى على كل حال ، وقلة الشيء ـ يعني قلة المال .

- يا أبا ذر : هِمّ بالحسنة وان لم تعملها لكيلا تكتب من الغافلين .

يا أبا ذر : مَن ملكَ ما بينَ فخذيه ، وما بينَ لحييه ، دخل الجنة . قلت : يا رسول الله فانا لنؤاخذ بما ننطق من ألسنتنا ؟ قال : يا أبا ذر وهل يَكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصاد ألسنتهم ، إنك لا تزال سالماً ما سكتّ ، فاذا تكلمت يُكتب لك أو عليك .

يا أبا ذر : انّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمة مِن رضوانِ الله تعالى ، فيُكتب له بها رضوانه الى يوم القيامة . وان الرجل ليتكلم بالكلمة في

المجلس ليُضحكهُم بها ، فيهوي في جهنم ما بين السماء والارض .

يا أبا ذر : ويل للذي يتحدثُ فيكذب ليُضحِكَ به القوم ، ويل له. ويل له . ويل له .

يا أبا ذر : مَن صَمتَ نجا . فعليك بالصدق ، ولا تخرجن من فمك كذبة أبداً . فقلت : يا رسول الله فما توبة الرجل الذي يكذب متعمداً ، قال : الإستغفارُ ، وصلواتُ الخمس يغسلُ ذلك .

يا أبا ذر : إياك والغِيبَة ، فان الغِيبة أشدّ من الزِنا . قلت : يـا رسول الله ولمَ ذاك ، بأبي أنت وأمي ؟ قال : لأن الرجل يزني ويتوب الى الله ، فيتوبُ الله عز وجل عليه ، والغِيبة لا تغفر حتى يغفَرها صاحبُها .

يا أبا ذر : سِبَاب المسلم فسُوق ، وقِتاله كفر ، وأكل لحمه مـن معاصي الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه . قلت : يا رسول الله . وما الغيبة ؟ قال : ذِكرُكَ أخاك بما يكره . قلت : يا رسول الله فمن كان فيه ذلك الذي ذكرته ؟ قال : إعلم انك اذا ذكرته بما هو فيه ، فقد اغتبته ! وان ذكرته بما ليس فيه ، فقد بهتّه .

يا أبا ذر : من ذَبّ عن أخيه المسلم المؤمنِ الغيبةَ ، كان حقّاً على اللهِ جل ثناؤه أن يعتقه من النار .

يا أبا ذر : مـن اغتيب عنـده أخوه المسلم ، وهـو يستطيع نصرَهُ فَنَصَرهُ ، نصره الله عز وجل في الدنيا والآخرة ، وإن خذله وهو يستطيع نصره ، خذله الله في الدنيا والآخرة .

يا أبا ذر : صاحبُ النميمة لا يستريح من عذاب الله عـز وجل فـي الآخرة .

يا أبا ذر : من كان ذا وجهين ولسانيين في الدنيا ، فهو ذو لسانيين في النار .

يا أبا ذر : المجلس بالأمانة ، وإفشاؤك سرَّ أخيكَ خيانة ، فاجتنبْ ذلك ، واجتنب مجلس العشيرة .

يا أبا ذر : تـُعرَضُ أعمال أهل الدنيا على الله عزَّ وجل من الجمعة الى الجمعة ، وفي كل يوم الاثنين والخميس ، فيغفر لكل عبد مؤمن ، إلا عبداً كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقول : اتركوا أعمال هذين حتى يصطلحا .

يا أبا ذر : إياك ، وهجرانَ أخيك ، فان العمل لا يـُتـَقبـَّل مع الهجران ، فان كنت لا بد فاعلا فلا هجرة أكثر من ثلاثة أيام كمَلا . فمن مات فيها مهاجراً لأخيه ، كانت النار أولى به .

يا أبا ذر : من أحبَّ أن يَمثـُلَ له الرجال قياماً ، فليتبوأ مقعدهُ من النار .

يا أبا ذر : من مات وفي قلبه مثقال ذرة من كبر ، لم يجد رائحة الجنة إلا أن يتوب قبل ذلك . فقال رجل : يا رسول الله ، ليعجبني الجمال حتى وددت أن علاَّقة سوطي ، وقبال نعلي حسن . فهل يرهب ذلك علي ؟ قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : أجده عارفاً للحق مطمئنا اليه ، قال : ليس ذلك بالكبر . ولكنَّ الكبرَ أن تترك الحق وتتجاوز الى غيره ، وتنظر الى الناس ، ولا ترى أن أحداً عرضه كعرضك ولا دمه كدمك .

يا أبا ذر : أكثر من يدخل النار المتكبِّرون . فقال رجل : وهل ينجو من الكبر أحد يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، من لبس الصوف ، وركب الحمار ، وحلب العنز ، وجالس المساكين .

يا أبا ذر : من حمل سِلعته ، فقد برىء من الكبر ــ يعني ما يشتري من السوق •

يا أبا ذر : من جر ثوبه خُيلاء ، لم ينظر الله اليه يوم القيامة •

يا أبا ذر : أزِرةُ المؤمن الى أنصاف ساقيه ، ولا جناح فيما بينه وبين كعبيه •

يا أبا ذر : من رقّع ذيله ، وخصف نعله ، وعفّر وجهه ، فقد برء من الكبر •

يا أبا ذر : من كان له قميصان ، فليلبس أحدهما ، وليكس أخاه الآخر •

يا أبا ذر : سيكون ناس من أمتي يولدون في النعيم ، ويُغذونَ به ، في همتهم ألوان الطعام والشراب ، ويمدحون بالقول ، أولئك شرار أمتي •

يا أبا ذر : من ترك لِبس الجَمال ــ وهو يقدر عليه ــ تواضعاً لله فقد كساه الله حُلّة الكرامة •

يا أبا ذر : طوبى لِمن تواضع لله في غير منقصة ، وأذل نفسه في غير مسكنة ، وانفق مالا جمعه في غير معصية ، ورحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، طوبى لمن صَلُحت سريرته ، وحسُنَت علانيته ، وعزَلَ عن الناس شرّه • طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله •

يا أبا ذر : إلبس الخشن من اللباس ، والعتيق من الثياب ، لئلا يَجِدَ الفخر فيك مسلكا •

يا أبا ذر : يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم، ، يرون الفضل لهم بذلك على غيرهم ٠ أولئك تلعنهم ملائكة السموات والارض ٠

يا أبا ذر : ألا أخبرك بأهل الجنة ؟ قلت : بلى يا رسول الله ٠ قال : كل أشعث أغبر ذي طِمرين لا يؤبه له ، لو اقسم على الله لأبَرّه ٠

والحمد لله رب العالمين ٠

مصادر الكتاب

مرتبة على الحروف الهجائية

الكتاب	المؤلف	الطبعة
أ ـ القرآن الكريم		
١ ـ اعيان الشيعة	السيد محسن الامين/تحقيق: حسن الامين	طبع بيروت ـ دار المعارف
٢ ـ الارشاد	الشيخ المفيد	بيروت ـ مؤسسة الاعلمي
٣ ـ الاصابة	ابن حجر العسقلاني	مصورة عن طبعة ١٣٢٨ هـ
٤ ـ الاستيعاب (على هامش الاصابة)	ابن عبد البر	مصورة عن طبعة ١٣٢٨ هـ
٥ ـ اصل الشيعة واصولها	الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء	بيروت ـ دار التعارف
٦ ـ ابو ذر الغفاري	الشيخ عبدالله السبيتي	صور ـ لبنان
٧ ـ تأريخ الامم والملوك	محمد بن جرير الطبري	نسخة مصورة
٨ ـ تأريخ اليعقوبي	احمد ابن ابي يعقوب	دار صادر ـ دار بيروت
٩ ـ تنبيه الخواطر	ابو الحسين ورام	المطبعة الحيدرية ـ النجف
١٠ ـ ثورة الحسين	الشيخ محمد مهدي شمس الدين	بيروت ـ دار التعارف
١١ ـ جبل عامل في التأريخ	الشيخ محمد تقي الفقيه	بغداد ـ دار الساعة
١٢ ـ حق اليقين	السيد عبدالله شبر	بيروت ـ دار الكتاب الاسلامي
١٣ ـ حياة الامام الحسن	الشيخ باقر القرشي	النجف ـ الاداب
١٤ ـ حياة الحيوان الكبرى	كمال الدين الدميري	بيروت ـ المكتبة الاسلامية
١٥ ـ الخصال	الصدوق ابو جعفر محمد بن علي	بيروت ـ دار التعارف
١٦ ـ رجال السيد بحر العلوم	بحر العلوم السيد محمد مهدي	النجف ـ الآداب
١٧ ـ سيرة المصطفى	السيد هاشم معروف	بيروت ـ دار القلم
١٨ ـ سيرة الائمة الاثني عشر	السيد هاشم معروف	بيروت ـ دار القلم
١٩ ـ شرح نهج البلاغة	ابن ابي الحديد ـ تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم	مصر
٢٠ ـ شعر الحرب في العصر الجاهلي	الدكتور علي الجندي	بيروت ـ دار مكتبة الجامعة العربية

الكتاب	المؤلف	النشر
٢١ ــ الشيعة وفنون الاسلام	السيد حسن الصدر	بيروت ــ دار المعرفة
٢٢ ــ صحيح البخاري	محمد بن اسماعيل البخاري	بيروت ــ دار الفكر
٢٣ ــ صحيح مسلم	ابو الحسين مسلم بن الحجاج	بيروت ــ دار الفكر
٢٤ ــ الصواعق المحرقة	ابن حجر	مصر
٢٥ ــ عثمان ذو النورين	عباس محمود العقاد	طبع مصر ــ دار العروبة
٢٦ ــ عقائد الامامية	الشيخ محمد رضا المظفر	قم ــ منشورات القسم العربي
٢٧ ــ الغدير	الشيخ عبد الحسين الاميني	بيروت ــ دار الكتاب العربي
٢٨ ــ فرائد السمطين	ابراهيم بن محمد ابن المؤيد الجويني	بيروت ــ مؤسسة المحمودي
٢٩ ــ الفروع من الكافي	محمد بن يعقوب الكليني	طهران ــ دار الكتب الاسلامية
٣٠ ــ الكامل في التأريخ	عز الدين ابن الاثير	بيروت ــ دار صادر ــ دار الكتاب
٣١ ــ متن اللغة	الشيخ احمد رضا	بيروت ــ دار مكتبة الحياة
٣٢ ــ مجمع البيان	ابو علي الفضل ــ الطبرسي	بيروت ــ دار احياء التراث العربي
٣٣ ــ مروج الذهب	علي بن الحسين المسعودي	بيروت ــ دار الاندلس
٣٤ ــ معجم البلدان	ياقوت بن عبدالله الحموي	بيروت ــ دار احياء التراث العربي
٣٥ ــ معجم رجال الحديث	السيد ابو القاسم الخوئي	النجف ــ الاداب
٣٦ ــ معاني الاخبار	الصدوق ابو جعفر محمد بن علي	بيروت ــ دار التعارف
٣٧ ــ المستدرك على الصحيحين	الحاكم النيشابوري ــ محمد بن عبدالله	الرياض ــ مكتبة ومطابع النصر الحديثة
٣٨ ــ الميزان في تفسير القرآن	السيد محمد حسين الطباطبائي	بيروت ــ مؤسسة الاعلمي
٣٩ ــ نهج البلاغة	من كلام مولانا امير المؤمنين علي (ع)	بيروت ــ الاعلمي
٤٠ ــ النصائح الكافية	محمد بن عقيل	بغداد ــ مكتبة النجاح
٤١ ــ الواعظ	محمد علي الرباني	النجف ــ مطبعة النعمان

الفهرس

